الإيمان

مجلة
اسلامية
ثقافية
شهرية

السنة 12 - ربيع الاول وربيع الثانى 1402
يناير - فبراير 1982
العددان 113 - 114 - الثمن 6 دراهم

في هذا العدد :



عدد خاص بالرائد الاسلامي الكبير محمد المختار السوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا

صدق الله العظيم

الإيمان

المدير:

أبو بكر القادري

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

السنة 12 - ربيع الاول وربيع الثانى 1402
يناير - فبراير 1982
العددان 113 - 114 - الثمن 6 دراهم

تصدرها جمعية شباب النهضة الإسلامية

الإيمان

مجلة شهرية اسلامية ثقافية
تصدرها جمعية
شباب النهضة الاسلامية

مديرها : أبوبكر القادري

الادارة :

3 ، زنقة اكنسوس بـ شارع تمارة
صندوق البريد : 356
الهاتف : 813.25
الرباط ــ المغرب

الاشتراك العادي : 30 درهما
الاشتراك الشرفي :
موكول لاريحة المشترك
يرسل الاشتراك في الحساب البريدي
« الايمان » 42ـ245
أو البنك المغربي للتجارة الخارجية
El Iman Magasin
810-01-200.0000.656.11
الربـاط

EL IMAN
Revue Islamique
et culturelle

Directeur :
M. BOUBKER EL KADIRI
3, zenkat Akensous
rue Temara
Tél. : 813.25
RABAT - MAROC
B.P. : 356
C.C.P. : 245-42
Banque Marocaine
du Commerce Exterieur
El Iman Magasin
810-01-200.0000.656.11
RABAT



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العدد الخاص

من حق الرواد الاولين للنهضة التى ننعم بها الآن ، الذين كافحوا الكفاح المرير الطويل والشاق كى تبقى هذه البلاد المغربية العزيزة محافظة على أصالتها ، قابضة على عقيدتها ، متشبثة بلغتها ؛ مناضلة عن وحدتها ، مكافحة فى سبيل عزتها وكرامتها ، ساعية السعى الحثيث فى بناء استقلالها .

من حق هؤلاء الرواد أن تتعمق فى دراسة شخصياتهم الأجيال الجديدة ، وأن تتعرف الى أعمالهم وما أدوه لهذه البلاد من خدمات . لتهتدى بهديهم وتسير على منوالهم فى البناء والتشييد .

والاستاذ المختار السوسى من جملة أولئك الـــرواد الاوائل الذين أبلوا البلاء الحسن فى الدفاع عن عقيدة هذه الامة ، والحفاظ على لغتها العربية الصميمة، والتعريف بتاريخها وأمجادها ورجالاتها الاولين . كما أنه من الشخصيات النادرة التى أعطت الكثير ، وتحملت الأصناف من أنــواع الاذى فى سبيل الحفاظ عــلى وحدة الامة المغربية ، والوقوف ضد كل فكرة لا تصون وحدتها الدينية واللغوية والوطنية .

فالمغرب فى نظر المختار السوسى مغرب واحد ، والمغاربة اخوة ملتحمون متحابون ، لا فرق بين سكان سوس ، وسكان الاطلس ، وسكان الريف ، وسكان السهول لقد مزجت بينهم العقيدة الاسلامية واللغة العربية ، فاصبحوا جسدا واحدا وقلبا واحدا لا تؤثر فيــه دعوات الجاهليين ولا نعرات العنصريين ، ولا دسائس المستعمرين .

ومجلة ((الايمان)) تصدر هذا العدد الخاص تعريفا بهــذه الشخصية الرائدة ، واعترافا بجميلها سائلة الله العلى القدير أن يبوىء استاذنا المختار مقعد صدق عنده مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .

جانب من حياة الرائد
محمد المختار السوسي

للأستاذ أبي بكر القادري

فى 29 جمادى الثانية عام 1383 الموافق 17 نونبر 1963 فقد المغرب علما من اعلامه ، ورائدا كبيرا من رواد نهضته ، وعالما فذا من علمائه ، ومؤرخا ثبتا من مؤرخيه ، وباحثا منقبا من اوسع الباحثين المعاصرين دراية بالتاريخ المغربى . ذلكم هو أخونا المرحوم السيد محمد المختار السوسى .

واذا كانت ثمانى عشرة سنة مضت على وفاة هذا الرجل الفذ ، فمن حقه علينا أن لا ننساه ، وان نعرف بشخصيته الاجيال الجديدة التى لا تعرف عن روادها الاولين الا النزر اليسير .

لقد نشأ المختار السوسى فى « الغ » وهى قرية من قرى سوس تقع فى ناحية « تازرولت » فى الجنوب المغربى ، وفى هذه القرية القاحلة القفراء البعيدة عن العمران ، الجافة الطبيعة ، تلقى دروسه الاولى عن والدته أولا وعن معلمى القرية الذين كانوا يلتفون حول والده باعتباره شيخا مربيا من اكابر الشيوخ المربين فى سوس .

ولما اشتد عوده ، وتخطى العقد الاول من عمره ، انكب على دراسة العلوم العربية التى كان لها شأن وأى شأن فى الاراضى السوسية ، وهكذا اخذ عن جلة علمائها الاعلام ، أمثال شيخه الطاهر الافرانى الذى كان يعتبر شيخ الأدب العربى والاستاذ السيد عبد الرحمان البوزاكارنى المستشهد بالرباط وغيرهما من الشيوخ والاساتذة الكبار .

وكان ينمى معلوماته بكثرة مطالعاته الأدبية والتاريخية على اختلافها ، فكان كما قال عن نفسه ، لا يختم كتابا الا ويشرع فى آخر ، فمن الف ليلة وليلة التى طالعها وهو ابن عشر سنين الى المستطرف وحياة الحيوان وابن خلكان ومروج الذهب ، ونفح الطيب الى قلائد العقيان والاستقصا

ونزهة الحادى الى كل الكتب التى تتصل بالادب والتاريخ والتى تصل اليها يده ، وكان لسان حاله — كما قال — ينشد قول ابن المعتز :

قلبى وشاب الى ذا وذا	ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى	ويرحم القبح فيهواه

لقد كان طموحه أن يصبح عالما مشاركا مثل اساتذته الذين اخذ عنهم ، وزاد هذا الطموح بمطالعاته التاريخية التى استطاع من خلالها ان يتعرف على كثير من الجهابذة الاعلام ، سواء منهم السوسيون او غير السوسيين ، وان اعجابه الشديد ببعض العلماء والمصلحين أمثال عبد الله بن ياسين والامام ابن حزم والجاحظ ، ينم على أن الرجل وهو فى ميعة الشباب كان يتطلع الى أعلى المقامات فى العلم والاصلاح ، كما كان ينظر الى آفاق متعددة وتخصصات متنوعة ، ودور فى التاريخ يؤديه .

وشاءت الاقدار أن يذهب الى « مراكش » وهو فى سن العشرين ، ليوسع من ثقافته ومعلوماته وليستمع الى اساتذة آخرين ، كان فى طليعتهم المحدث الاشهر الشيخ أبوشعيب الدكالى رحمه الله ، فكانت دروس هذا الشيخ بالنسبة له ولغيره « اجابة لباب ، وفتحا لباب آخر » وهكذا رأى فى دروس أستاذه الجديد ، ما خلب لبه ، واطار صوابه ، فصمم على أن يرتوى من معينه ، ويحتذى حذوه فى املاء الحديث الشريف ، والغوص على أسرار التشريع ، والتمسك بهدي القرآن والسنة ، ورمى الافكار الجامدة التى ما أنزل الله بها من سلطان ، ومقاومة الخرافات والاوهام التى كانت عالقة بكثير من الاذهان .

ولما قدر له أن يزور « فاس » ويستقر فيها ، انقلبت أفكاره ظهرا على عقب ، وتطورت شخصيته تطورا ظاهرا فصار كما قال عن نفسه : « فبدلت أخلاقا غير التى عهدت من قبل ، وأنا فى مراكش ، واحواز مراكش ، فقد تلقحت فى جو فاس بما لو لم أتلقح به ، لما كانت لى فكرة ، ولا تحركت بى همة ، ولا نزعت بى نفس عزوف تقول بملء فيها :

لى همة عالية فذة	طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت	الى امتلاك سدرة المنتهى

لقد أثرت عليه « فاس » بجوها ودروسها وشيوخها وصداقاتها ، فوجد فيها ما كان يفتقده ، وجد فيها العلماء الاعلام ، والطلبة المجددين المتفتحين ، والافكار السلفية الصافية ، والروح الوطنية المتأججة ، وكل ذلك كان يتطلع اليه ، فاذا ما كان ارتوى من معين اساتذة متبحرين فى الأدب القديم ، واذا ما كان هام بالجاحظ وابن عبد ربه ، والمقـري وأضرابه ، فانه الآن أمام سيل من علماء وأدباء من صنف جديد ، انه أمام محمد عبده ومحمد فريد وجدى وشوقى وحافظ ابراهيم والمنفلوطى وخليل مطران ومن فى طبقتهم، يتغنى بأشعار الشعراء منهم ، ويتأثر بأفكار المصلحين المجددين فيهم . انه أمام ثورة فكرية عارمة ، استجابت لها نفسه الطموح الى الكمال ، انه أمام تجديد فى فهمه للثقافة وللادب وحتى للدين ، فليس الدين مجرد عبادات ، وأداء مناسك ، ومجاهدة للنفس ؛ ولكنه بالاضافة الى ذلك عمل متواصل لصالح الوطن ، ودفاع مستميت عن العقيدة السمحة ، وتخطيط سليم للحفاظ على لغة القرآن ، واعتزاز كبير بحضارة البلاد وقيمها وماضيها المجيد ، ومقاومة قوية للوجود الاستعمارى بكل الطرق الممكنة .

لقد تغيرت مفاهيمه عن الحياة فى فاس ، فأصبح يفكر التفكير العملى ، ويومن بضرورة العمل لصالح بلاده ، سواء فى الناحية العلمية التى لا تخفى ضرورتها فى بناء الاوطان ، أو فى الناحية السياسية التى لابد من خوض معمعتها لتطهير البلاد من الاستعمار .

وهكذا نراه مع جماعة من اخوانه فى فاس ، ينظم جماعة ثقافية يترأسها وتسمى « بالحماسة » ويشارك فى تأسيس جماعة سياسية يترأسها الزعيم المرحوم علال الفاسى رغم انه كان أصغر الجماعة سنا .

وصارت الجماعتان تقومان بواجبهما ، وتؤديان رسالتهما ، فمن القاء دروس فى المدرسة الناصرية وغيرها الى بث الافكار الاصلاحية ، ونشر الوعى بين جماهير الطلاب ، ومن مطالبة باصلاح المنهج الدراسى فى القرويين ، الى مقاومة الافكار الخرافية والشعوذة التى كان يتزعمها بعض الخرافيين . وكان « مختارنا » يقوم بواجبه مع اخوانه العاملين ، يعطى الدروس ، ويستحث الهمم ، وينظم القصائد ، ويكثر من الاتصالات ، ويشجع

كل وسائل النهوض ، وكان من مشاغله الاساسية منذ مطلع عمره ، الى ان ادركته الوفاة ، الدفاع عن لغته العربية ، ومكافحة كل أنواع الاستعجام، واستنهاض الهمم لنشر العلم والمعرفة ، وتأسيس المدارس وتشييدها .

لقد القى وهو بفاس اذ ذاك قصيدة جاء فيها :

بأى خطاب أم بأى عظات ... أوجه وجه الشعب شطر لغاتى
بأى فعال أم بأية حكمة ... أنشرها من أعظم نخسرات
وكيف وأنى يا الاهى واننى ... عييت وعييت حيلتى وأداتى
فأى لسان أرتضيه لنشرها ... وألسننا صيغت من المجمسات
تركنا بها كنزا نفيسا فأقبلت ... على غيرها الافكار مبتدرات
نمد أكفا ــ قطع الله راحها ــ ... الى غيرها من اللغى السمجات
ونترك منها روضة تخلب النهى ... بطلعتها المخضلة الزهرات
فلو اننا نلنا من العقل ذرة ... ونالت طوايانا اقل حياة
وأمعن كل طرفه فى أصوله ... وانعم فى أحواله النظرات
رأينا جميع العز تحت حياتها ... بها يترقى الشعب فى الدرجات
ففى غيرنا لو كان فينا مفكر ... عظات ولكن أين المعظات
سأستعجم الاعواد فى كل مجمع ... واستطلع الافكار فى الخلوات
وأسبر اغوار الرجال وافتلى ... عقول جميع الناس فى الجلسات
وأعرض فى كل الذين أراهم ... خطابى وأبدى بينهم حسراتى
وادعو الى راى واعلن انه ... نجاة لمن يبغى طريق نجاة
الى ان يواتينى الزمان فألتقى ... بمنشودتى رغما عن العقبات

ويقول فى قصيدة جعل عنوانها : الهلاك ولا الجهل .

حتى متى شعبى يعبده الجهل ... كأن لم يكن قطب السيادة من قبل
كأن لم يكن يوما مديرا لتلكم الـ ... مماليك يحمى ما يشاء ويحتل
كأن لم يكن بين الشعوب محكما ... اذا قال يحنى الرأس من راسه يعلو

الى ان يقول :

اجل ! اننا كنا وكنا وهكذا ... يقول لسان العلم من قوله القول
ولكن اذا القيت يومك نظرة ... فكم لوعة تذكو وكم زفرة تعلو

تشاهد ما يرفض قلبك حسرة عليه ويستذرى الدموع فتنهل
لتسقط على الارض السماوات ولتقم قيامة شعبى فالهلاك ولا الجهل (1)

انها فترة حاسمة فى تاريخ استاذنا المختار ، وجهت حياته واعماله كلها فى المستقبل ، وجعلته يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، سواء وهو بفاس أو بعد انتقاله الى الرباط أو بعد استقراره الثانى بمراكش .

لقد كتب عن هذه الفترة من حياته يقول : « ثم لما أبت من فاس ، وقد الممت بالرباط حيث احتفظت أيضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا ، لم أقع عليها الا فى الرباط ، وفى مشايخ الرباط ، حللت بالحمراء وقد ألقيت فيها مرساتى ، وانوى أن اقضى الواجب على لدينى ولوطنى ولشعبى ، ما بين تلميذ يهذب ، وبين درس ارشاد يلقى ، وانا فى جانب ذلك أناغى اليراع ، فيما عسى أن يرجع من شأن هذه الامة ، من احياء ما اندثر من آثار ماضيها ، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى اراها اذ ذاك فى انهيار ، ففى هذه الميادين الثلاثة تضيت ازمانا تكشفت عن اعمال كان فضل الله على فيها عظيما » (2) .

لقد تغيرت اتجاهاته فى فاس تغيرا ملموسا ، عبر عنه فى شعره وكتابته ، واكده فيما كتبه من مذكرات . .

ولقد كانت مرافقته للجماعة الوطنية الاولى ذات تأثير عليه ، وكان حضوره فى الدروس التى كان يلقيها العلامة المصلح الكبير والداعية السلفى الشهير الفقيه سيدى محمد بن العربى العلوى الذى كان يقول عنه انه « موقظ الهمم » كان حضوره فى دروس أبن العربى مدعاة لمراجعة تفكيره فيما نشأ وتربى عليه من أفكار ومعتقدات صوفية محضة ، فأصبح فكره الصوفى سلفيا ، وأصبح اتجاهه فى الحياة وطنيا ، والوطنية فى نظر مترجمنا المختار وفى نظر الرعيل الوطنى الاول ، ليست كما يتصورها بعض المحدثين المقادين لكل ما اتى من الغرب مطلق تعلق بالوطن ودفاع عنه ، ولكنها مع ذلك مرتكزة على دعامتين اساسيتين : الدين والاخلاق ، هاتان الدعامتان كانتا تتجليان فى الجماعة الوطنية الاولى التى كان افرادها كما

(1) راجع نص القصيدتين فى كتاب : الادب العربى فى المغرب الاقصى المطبوع سنة 1929 .
(2) المعسول جزء 1 ص 15 .

يصفهم فى كتابه : « الالغيات » « نخبة فى العفة والدين .

وهكذا نلاحظ انه استجمع الشروط التى تؤهلـه لاداء رسالتـه فى الحياة ، وصار يفكر عمليا فى أداء هذه الرسالة ، لقد حصل على ثقافة واسعة فى مختلف العلوم التى كانت تدرس ، سواء بسوس أو مراكش أو فاس أو الرباط ، ولقد احتك بالعلماء والمصلحين والشباب الطموح الى المجد والرقى ، ولقد اعتمد على نفسه ومطالعاته فى ادراك ما كان يفتقده فـى المناهج الدراسية ، فلم يبق أمامه الا ان يتكل على ربه ليؤدى واجبـه نحو دينه ووطنه وشعبه كما التزم بذلك فى قرارة نفسه .

لقد كان يقول وهو يتحدث الى اخوانه ورفاقه : انه خلق للعلم ، ولم يخلق لغير العلم ، وهل دينه يطلب منه أن يكون أكثر من معلم ، الم يقل الرسول الامين الذى يعتبر الاسوة الصالحة له ولغيره من المصلحـين الصادقين : انما بعثت معلما فليتكل على الله وليذهب الى مراكش ليؤسس مدرسة تصنع الرجال ، وتربى المناضلين وتكون المنافحين عن لغة الضاد .

لقد قصد الزاوية التى اسسها والده المرحوم بباب دكالة ، وجعل منها نواته الاولى لتعليم الاطفال والشبان وتربيتهم وتكوينهم على أساس من التعلق بالمبادىء الاسلامية المثلى ، واذا ما قلت انه كان يربيهم التربية المثلى ، فانى اعنى ما اقول ، انه لم يؤسس مدرسة مثل بقية المدارس ، ولكن مدرسته كانت فريدة فى بابها ، فكان الذين يقصدونها من المراكشيين وغير المراكشيين يأخذون زيادة على الدروس العلمية المعهودة ، دروسا أخرى فى الصبر على شظف العيش وتحمل المتاعب وأداء الواجبات الدينية فى أوقاتها ، وتمضية اغلب الاوقات فى المطالعة والمراجعة . لقد كان نظامها يشبه النظام العسكرى ، فالانتباه من النوم يكون قبل الفجر باستمرار ، والنوم بعد صلاة العشاء بقليل ، واليوم كله درس ومراجعة ومذاكرة ، والمختار مع تلامذته فى كل الاوقات يعطى الدروس العلمية ، ويعطـى الدروس بالمثال والاسوة الصالحة لا يتميز عنهم فى شىء ، لا فى مأكلـه ولا فى مشربه ، ولا فى اى شأن من شؤونه .

ويتراأى لى أن نشوءه فى وسط طرقى ، باعتبار أن والده كـان شيخا مربيا ، اثر عليه كثيرا فى مختلف اطوار حياته ، سواء فى هذه المرحلة

التى نتحدث عنها أو فيما سيأتى من مراحل ، وهكذا أراد أن يجعل من مدرسته زاوية يربى فيها المريدين من تلامذته مثل ما كان يفعل والده المرحوم . كما يتراآى لى ان اعتزازه العظيم بأحد العظماء الذين أنبتتهم « جزولة » وهى المنطقة التى كتب عنها وتحدث كثيرا ، وأعنى به مؤسس الدولة المرابطية وزعيمها الاول عبد الله بن ياسين الذى كان يلقبه بصقر « سوس » تشبيها بعبد الرحمان الداخل الذى كان يلقب بصقر قريش ، ان اعتزازه بعبد الله بن ياسين واعجابه بالاعمال التى قام بها ، والطريقة التى سلكها فى المراحل الاولى قبل تأسيس دولة المرابطين ، جعلته يقلده فى طريقة التكوين والحرص على التربية حتى يستطيع أن يكون جماعات يخوض بها معركته ضد الجهل والانحراف ونشر المبادىء الاسلامية ، وصيانة اللغة العربية من كل دخيل ، واحلالها المقام اللائق بها فى ربوع هذه البلاد .

ومن جهة أخرى نلاحظ انه كان معجبا كل الاعجاب بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . ومن المعروف عن هذا الامام أنه كان يومن بأن المرحلة الاولى فى الاصلاح ، ومقاومة المستعمرين ، تكون عن طريق تكوين الفآت من الشباب التكوين الصحيح ، واعدادهم الاعداد السليم ، ليقوموا بواجبهم فى تغيير الاوضاع ، واصلاح الاحوال .

لقد أصبحت مدرسته أو زاويته مقصد الكثيرين من الشبان الذين يتواردون عليها ، حتى اخافت الاستعماريين وأذنابهم ، فصاروا يدبرون له ولها المكايد ، وصاروا يفكرون فى اغلاقها بكيفية أو أخرى ، لقد عرضوا عليه الوظيف ليترك مدرسته فأجابهم قائلا : « انما انا رجل دين وارشاد عام كما كان والدى ، ولا غرض لى فيما يحولنى عن ذلك » فلما ادركوا انه ليس من أولئك الذين يجرون وراء المناصب ، أو يؤثر فيهم الاغراء بالوظيف ، كشفوا عن حقيقة ما كانوا يرمون اليه ، فقرروا نفيه وابعاده عن مراكش الى قريته التى ولد فيها « الغ » فكان هذا نفيه الاول ، والامتحان الذى لابد منه لمن يريد ان يؤدى اية رسالة سامية فى الحياة .

كان نفيه أواخر سنة 1355 (1936) بداية مرحلة جديدة فى حياته ، فبعد غياب عشرين سنة قضاها فى تنمية ثقافته وتنويعها ، واكتشافه آفاقا علمية جديدة فى مراكش وفاس والرباط ، وربطه اتصالات محكمة مع رفاق صادقين ، واخوة مكافحين ، ها هو ذا يعود الى مسقط رأسه

« الغ » الموطن الذى قضى فيه زهرة طفولته وبداية شبابه فيتذكر حياته الاولى وينطلق لسانه قائلا :

اليكم بنـى أمـى أئيـب ركائبـى	فياليت شعرى هل أنا غير آئـب
فقد غبت احقابا طوالا وذا أنـا	اعود كأن لـم اغد قـط بغائـب
صدفت الى من كان ميلى اليكـم	ورجعاى هذا اليوم احدى العجائب
كأن لم يكن « الغ » بلادى التى بها	سموت به فوق الذرى والمناكـب

الى ان يقول فى قصيدته الطويلة :

راينا المعالـى كلهـا فى مرادهـا	فطرنا اليهـا بالنفوس الرواغـب
فغادرت « الغا » والشبيبة غضـة	ووجهى وغصنى مثل أبيض قاضب
أريغ العلا بالنـص فى كل فد جـد	تضل به الخريت شتى المشاعـب
اعرض حـر الوجه نحـو سمومه	فيكسوه من اثواب سود غرايـب
فجبت الجبال الشامخات وخضخضت	سراب البطاح الفيح هوج ركائبى
فخيمـت بالحمراء حينا وسابقـت	من أبناء فاس آونـات سلاهبـى
وطورا أرانى فى الرباط وقـد طمت	على غيـوث الهامعات السواكـب
فأفرغـت فى هاتى وتلـك وتلكـم	جهـود مجـد فى التفوق راغـب

لقد أراد بهذه القصيدة الشعرية أن يخاطب « الالغيين » بلغتهـم العربيـة القحة التـى كانوا متمكنـين منها حق التمكن ، وقصده كما عبر عن ذلك بنفسه أن يفتح الباب بينه وبـين أدبائهم وعلمائهـم ومثقفيهم ، و « الـغ » اذ ذاك مثل بقية بلاد جزولة ، منبت فحول الشعراء، وموطن العلماء المحققين ، وهكذا انثالوا عليه بقصائدهم وأشعارهـم ومساجلاتهم ، فاندفع يجيب كل واحد منهم بقصيدة من نفس الوزن والقافية التى ترد عليه بها القصيدة ، وهكذا كيف حياته الجديدة بالمنفى تكييفـا جعل منفاه نعمة على « سوس » بل على تاريخ المغرب كله . فبسبب هذا المنفى وبسبب بعده عن زخارف ومغريـات الحياة الحضاريـة فى المدن ، استطاع أن يؤلف ما يناهز خمسين جزءا عن علماء سوس وادبائها واخبارها ونوادرها وعن حياتها الاجتماعية وحرفها واعيادها وأمثالها .

وكتابة المختار السوسى عن « سوس » لا يمكن أن تجعله فى صفوف اولئك الاقليميين العنصريين الذين لا ينظرون الا الى مواقع أقدامهم ، والذين

يخدمون ـ شعروا ام لم يشعروا ـ اهدافا استعمارية بغيضة ترمي الى تجزئة الشعب المغربي وتمزيقه طرائق قددا .

ان كتابة المختار السوسي عن سوس ، كتابة رجل وطني مسلم عربي مغربي وحدوي ، يقصد التعريف بجزء من وطنه اتاحت له الاقدار ان يكتب عنه ما لم يستطع غيره ان يفعله ولو قدر له ان يعيش في جزء آخر من المغرب لكتب مثل ما كتب عن سوس ، فهو لا يفرق بين سوس وبين تافيلالت ، ولا بين جبال الاطلس وسهول دكالة والشاوية انه كما يقول : « من الذين يرون المغرب جزءا لا يتجزأ ، بل يرى العالم العربي كله ، من ضفاف الاطلس الى ضفاف الرافدين وطنا واحدا ، بل يرى جميع بلاد الاسلام كتلة متراصة من غرب شمال افريقيا الى اندونيسية ، لا يدين بدين الاسلام الحق من يراها بعين الوطنية الضيقة التي هي من بقايا الاستعمار الغربي في الشرق (3) وكدليل عملي على تجرده من الفكر العنصري البغيض كان يجمع مواد لكتاب عن مراكش في عصرها الذهبي ، يسجل فيه الدور الذي قامت به هذه المدينة الاصيلة في مجال السياسة والعلم والادب والاجتماع ، ولكن ظروف نفيه حالت بينه وبين تحقيق ما كان يطمح اليه ؛ انه ينادي مطالبا الكتاب والمؤرخين أن يكتبوا كل واحد عن الناحية التي يوجد فيها ، فيعرفون برجالاتها وأحداثها وعوائدها فهو يقول : « فليسمع صوت هذا السوسي كل جوانب المغرب من أعظم حاضرة الى اصغر بادية فلعل من يصيخون يندفعون الى الميدان ، فنرى لكل ناحية سجلا يضبط حوادثها ، ويعرف برجالاتها ويستقصي عاداتها ، فيكون ذلك ادعى الى وضع الاسس العامة امام من سيبحثون في المغرب العام على منضدة التاريخ المغربي العام » .

انه يعتبر الوطنية الضيقة خيانة للفكر الاسلامي والعقيدة الاسلامية . بالاسلام أذاب كل الافكار العنصرية الخبيثة وقضى عليها ، واعتبر المسلمين أينما كانوا وحيثما حلوا امة واحدة متلاحمة لا فرق بين ابيضها واسودها ، ولا بين عربها وبربرها الا بالتقوى والعمل الصالح . فليفهم هذا دعاة العنصرية الضيقة الذين يتأثرون لدعايات الاستعماريين

---

(3) سوس العالمة ص ج ،

والصليبيين والذين يريدون أن يثيروا داخل بلادهم قلاقل مفجعة ، واحقادا دفينة ، وتطاحنات لا مصلحة فيها الا للمتربصين للمغرب ، العاملين على القضاء عليه ، مستعينين ببعض الاجانب من الصليبيين الذين يبذرون بذور الفتنة والتفرقة ، ويشجعون الافكار العنصرية المقيتة ، حقدا على الجماعات الاسلامية المتماسكة ، وتقوية لخطتهم الصليبية الجهنمية .

لقد أعطى استاذنا المختار المثال الكامل على ان انتماءه لسوس الحبيبة الى قلبه وقلوب كل اخواته فى المغرب ، لا يمكن ، مطلقا أن ينسيه انتماءه لوطنه وعروبته واسلامه ، وبذلك سد الطريق امام المتلاعبين بالافكار ، الداعين الى الفرقة ، العاملين للتشتيت .

تسع سنوات قضاها فى المنفى ، كان فيها مثال الرجل الواعي بمسؤولياته ، المنكب على الدراسة والتأليف ، المتتبع ولو من بعيد للاحداث التى تقع فى بلاده والتى أصبحت تتوالى بعد منفاه ، فمن مطالبة بالحريات العامة وتحقيق المطالب الى الاحتجاج ضد مشاركة الاستعماريين فى تقرير مصير البلاد ، ومن المظاهرات الصاخبة فى الشوارع الى محاكمة الوطنيين وملء السجون بالمعتقلين والمنفيين ومن اعلان الحرب العامة الثانية ، الى الهزيمة الشنعاء التى عانت منها فرنسا بالذات .

لقد كان يتابع كل ذلك عن كثب وان لم يشارك فيه بالفعل ، لان النفى حال بينه وبين ذلك من جهة ، ولانه اختار ان يواجه الاستعمار عن طريق نشر العلم والتربية من جهة أخرى .

لقد استأذن الحاكم الفرنسى ذات مرة أن يزور بعض مريدى والده بتادلة ، فأذن له بذلك ، ولكنه اغتنمها فرصة فقصد الدار البيضاء ، متنكرا ، وصادف الحال أن كان الظرف ظرف المطالبة بالاستقلال ، والتطورات التى حدثت بعد تقديم وثيقة الاستقلال الى جلالة الملك المرحوم محمد الخامس فصار يتتبع الأحداث عن كثب ، ويستجمع المعلومات ، سواء بواسطة الجرائد القليلة التى كانت تصدر أو بواسطة بعض تلاميذته الذين كانوا ياتونه بالاخبار ، ولما علم أن فرنسا ركبت راسها واختارت طريق العنف والسجن والنفى والقتل فألقت القبض على أحرار الوطنيين ونفت الامين العام لحزب الاستقلال اذ ذاك الاستاذ المجاهد الحاج أحمد

بلا فريج قال كلمة عظيمة حدثنا عنها أحد تلامذته البارين هو الاستاذ محمد الروداني في المقدمة التي وضعها « لايليغ قديما وحديثا » قال المختار : قد تضي الامر ، وتفرقعت القنبلة ، فقد كانت فرنسة تحاول ان تخلق بين المغاربة من يقبل ان يفاوضها على شيء ما دون الاستقلال ، كبعض الاصلاحات الداخلية ، اما الآن وقد قيلت كلمة الاستقلال ، فكل من قبل ان يتفاوض على ما دونها ، سيراه الشعب المغربي خائنا استعماريا ، لكن اذا قتل الفرنسيون الحاج احمد ، فسيتأخر استقلالنا كثيرا ، اما اذا اعماهم الله عنه ، فتركوه حيا ، فان الاستقلال لن يتأخر أكثر من عشرين سنة .

وشاء الله ان يعمي الفرنسيين ، واستجاب سبحانه لدعوات المومنين ، وتضحيات المجاهدين الصادقين ، فتحقق الاستقلال بعد احدى عشرة سنة من تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال ، وحقق الله وعده ، ونصر عباده ، وهزم الاستعماريين واذنابهم وحده .

ورجع الحاج احمد واخوانه من منفاهم وسجونهم ليواصلوا المعركة ، ويدافعوا عن وحدة البلاد وثقافتها ولغتها وحضارتها وقيمها . وكان مترجمنا من جملة الذين أفرج عنهم ليواصل معركته في نشر الثقافة والعلم وتكوين الاجيال ، وتوطدت العلاقة بينه وبين محمد الخامس نور الله ضريحه فعينه في وفد الحج الذي قصد الديار المقدسة سنة 1365 ، كما عينه في عضوية وفد احباس الحرمين الذي قصد تونس سنة 1367 .

وبمناسبة ذهابه في وفد الحج اذكر انني تلاقيت معه قبل سفره ، فحملته رسالة خطية طلبت منه رحمه الله أن لا يفتحها الا ساعة مواجهته للحضرة النبوية الشريفة والسلام على الرسول الامين عليه السلام . وكانت الرسالة خطابا روحيا وتحية حارة ، وتعبيرا صادقا عن تعلقي المتين بالجناب النبوي الشريف عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

بعد رجوعه من منفاه في « الغ » استقر بمراكش للمرة الثانية يؤدي رسالته العلمية ، سواء عن طريق مدرسته أو عن طريق الدروس التي كان يلقيها بالمساجد ، وفي تلك الاثناء قامت بالمغرب بتاييد من جلالة محمد الخامس نهضة علمية تجلت في الاقبال على تأسيس المدارس العربية الحرة

فى مختلف انحاء البلاد ، وهكذا تأسست لجنة بمراكش تراسها مترجمنا فعملت على بناء مدارس محمد الخامس « ببنى دغوغ » ثم تراس مكتب الجمعية الخيرية الاسلامية بنفس المدينة وهكذا أقبل يهتم كما هو شأنه دائما بالناحية العلمية والثقافية والخيرية ، معتقدا أن تكوين الاجيال وتثقيفها أساس بناء كل نهضة ، ومؤكدا أنه رجل علم لا رجل سياسة ولكن انكبابه على نشر المعرفة ، وتثقيف الاذهان ، لم يرض رجال الاستعمار ، فما أن اشتدت الازمة بين رجال الحركة الوطنية الممثلين فى حزب الاستقلال وجلالة الملك المرحوم محمد الخامس من جهة وبين الادارة الاستعمارية من جهة اخرى ، والتى نتج عنها القاء القبض على قادة الحزب ونفى جلالة الملك واسرته الكريمة الى جزيرة « مدغسكر » حتى كان من جملة الذين امتدت اليهم ايدى الاستعمار فنفى الى « اغبالو نكردوس » مع جمهور غفير من اخوانه فى المبدأ والعقيدة ؛ ولم يطلق سراحه الا بعد ان بدت طلائع الانفراج ، المنبئة بتحرير البلاد واسترجاع الاستقلال ، ورجوع جلالة الملك الى عرشه ، حاملا الاستقلال فى يد ، والديموقراطية فى اليد الاخرى ، ومرددا قول البارى تعالت قدرته : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » .

وانغمر الاستاذ المختار فيما انغمر فيه اخوانه فى العمل لبناء الاستقلال وتشييد الدولة المغربية المستقلة الحرة والموحدة ، ورغما من أنه كان يكره الوظيف ، ويعتبره عبودية فقد ابت عليه وطنيته الصادقة الا أن يقبل تعيينه وزيرا للاوقاف ثم وزيرا للتاج .

والمختار السوسى فى وظيفته كوزير لا يختلف مطلقا عن وظيفته كمعلم ، فحياته هى حياته وأخلاته هى أخلاقه وتواضعه هو تواضعه لم يغره الوظيف ولم يستكن للرفاهية التى طالما كانت سببا فى انتكاس رجال على أعقابهم ، بل بقى صامدا فى أخلاقه ، ثابتا فى عقيدته ، منافحا عن مبادئه ، متبلا على كتاباته وتآليفه ، زائرا لاصحابه وخلانه مذاكرا لهم فى كل ما من شأنه أن ينهض بهذه الامة ، ويرفع من مكانتها ، ويقيها من العثرات ، وان أنس فلا أنسى أياما أكون جالسا بمكتبى فيرن جرس الهاتف لاستمع فيه الى صوت أستاذنا المختار بنبرته السوسية الخاصة التى يمد فيها على الواو من « أبوبكر » مدا زائدا ليخبرنى بأنه سيزورنى بالمدرسة أو بالبيت ، فلا

تمضى الا بضع دقائق حتى يكون عندى ليملى على أحداث ، أو ليستفسر عن وقائع أو يلاحظ على قرارات ، وفى هذا المجال لابد ان اثبت هنا انه يرحمه الله زارنى ذات يوم بالمدرسة ورجا منى أن اذهب واياه الى ساحتها ، وكان من عادته أن يتحدث الى اخوانه وهو يسير واياهم ذهابا وجيئة ، قابضا على أيديهم يفركها فركا — لقد كان حديثه فى هذه المرة حول التعليم وتأسيس المدارس بناحية سوس متسائلا ومتألما فى الوقت نفسه لماذا نعمل فى عهد الاستقلال ما لم تستطع فرنسا أن تقوم به فى عهد الاستعمار ؟ لماذا نقوم بنشر اللغة الاجنبية (الفرنسية) لابنائنا فى سوس بعد ان كانت هذه اللغة متقلصة فى عهد الاستعمار ؟ أليس نشرها فى تلك الاصقاع سيكون على حساب اللغة العربية التى كان لها شأن وأى شأن فى مدننا وقرانا السوسية ، فنبدلها الآن باللغة الاعجمية ؟ ما هى مصلحة أبنائنا الصغار فى هذه الازدواجية التى ستضيع عليهم معرفة لغتهم ، وتقلل من اهتمامهم بدراسة دينهم وقرآنهم ؟ . لقد كان متألما حقا من هذا الحماس الذى أعطاه عهد الاستقلال للغة المستعمر .

وكان يرى أن « سوس » يجب أن أن تبقى حصنا حصينا للغة العربية والعلوم الاسلامية تدرس فيه جميع الفنون المتعلقة بها ، سواء منها العلوم الادبية على اختلافها وتنوعها أو العلوم الشرعية على تعدد مناحيها الفقهية والحديثية والتفسيرية .

لقد كان يريد أن تتمتع « سوس » بمدارس مثل المدارس التى كانت فى عهدها السابق فيتخرج منها أمثال الشخصيات التى ترجم لها فى كتابه الضخم « المعسول » و « سوس العالمة » وغيرهما وكان يريد ان يبقى السوسيون معتنين بالعلوم التى كانت تدرس عندهم والتى عددها فى كتابه « سوس العالمة » فبلغت واحدا وعشرين علما ، بما فيها علوم المنطق والهيأة والفرائض والحساب والطب . زيادة على علوم الآلة والتفسير والفقه والحديث .

وكان يرى ان اختصار البرامج وتغييرها سيضعف ويقلل من نشر هذه العلوم بدل أن يقويها ، وهكذا تتضاءل خاصية « سوس » العلمية والدينية .

ولكى نتبين ما كان يشير اليه ، نرجع الى كتابه « سوس العالمة » الذى يتحدث فيه عن النهضة العلمية فى سوس خصوصا ابتداء من القرن التاسع الهجرى حيث يقول : « جاء القرن التاسع بفاتحة خير ، وطلع بفجر منير ، وسفر عن وجه يقطر بشاشة وبشرا ، حقا كان القــرن التاسع قرنا مجيدا فى سوس ، ففيه ابتدأت النهضة العلمية العجيبة التى رأينـا آثارها فى التدريس والتآليف ، وكثرة تداول الفنون ، وقد تشاركت «سملالة» و « بعقيلة » و « رسموكة » و « آيت حامد واقا » و « الجرسفيون » و « الهشتوكيون » و « الوادنونيون » و « الطاطائيون » و « السكتانيون » و « الراسلواديون » وغيرهم فيها ، ثم جاء القرن العاشر فطلع بحركـة علمية أدبية أوسع مما قبلها ، تشده كل مطلع ، فقد خرج العلماء الـى الميدان الحيوى والمعترك السياسى ، فشاركوا فى الامور العامة ، واستحوذوا على قيادة الشعب ، فكانوا سبب توطد الدولة السعدية ، ثم جازتهم هى ايضا بدورها ، فكان منهم افراد بين الكتاب والشعراء الملازمين للعرش ، والسفراء ورؤساء الشرطة وقواد الجند والحرس الملكى الخاص ، فزخرت سوس علما بالدراسة والتآليف والبعثات تتوالى الى فاس ومراكش والى الازهر ، فكانت تؤوب فى ذلك العهد بتحقيقات اليسيتنى والونشريشى وابن غازى ونظرائهم ، حتى كان كل ما يدرس فى القرويين يكاد يدرس فى سوس . قولة لا تنفج فيها ، وانها لحقيقة ناصعة ، يقر بها كل مطلع (وما يـوم حليمة بسر) ».

وبعد أن يتحدث عن التطورات العلمية فى عهد الملوك العلويين ابتداء من المولى اسماعيل الى الحسن الاول ، واعتناء هؤلاء الملوك بعلماء سوس ، واكتظاظ المدارس بالطلبة فى جزولة بالاخص يقول : « ولكن نشاط العالم الجزولى لم ينطو ، ولم يذهب عصره ، فالمعارف زاخرة ، والمدارس طافحة ، والبعثات الى تامكروت والى فاس ومراكش بل والى الازهر أيضا تتوالى ، والقبائل ترى كل واحدة منها ان من الواجب عليها اشادة مدرسة علمية خاصة بها ، يدرس فيها العلم العربى ، فتقوم بها بثلث اعشارها ، وبأحباس من أثريائها وباشياء أخرى من صميم أموال بنيها » الى ان يقول : « لان اقامة المدارس وعمارتها بطلبة المعارف وبالتدريس للعلم العربى ، صارت ميادين فخـر تتسابق اليه كل القبائـل ، حتى ليكون كبيضة الديـك

والكبريت الاحمر ، ان تجد قبيلة سوسية كبيرة او صغيرة ليس لها معهد علمي بسيط مشاد بين ظهرانها » (4) .

ومن المعلوم ان العلماء في سوس كانوا هم المرجع في كل القضايا والفصل في الخصومات ، وبفضلهم بقي السوسيون متمسكين بدينهم ، ملتزمين شريعتهم ، لا يتحاكمون الى أعراف ما انزل الله بها من سلطان ، مثلهم مثل اخوانهم في بقية أنحاء المغرب ، خاضعون للشريعة الاسلامية في احكامهم ، راجعون اليها في رفع المظالم عنهم ، حتى ان المتظلمين منهم كانوا يعبرون عن تظلماتهم بهذه العبارة التي يقول عنها الاستاذ المختار ، انها عبارة مشلحة (أنا بالله والشرع) .

لقد كان مختارنا السوسي يعتبر اللغة العربية مقوما اساسيا في هذه البلاد ، لا باعتباره اللسان القومي لها فحسب ، ولكن باعتباره ركيزة من ركائز وحدة الشعب المغربي ، لاتضاهيه الا عقيدة الاسلام التي صهرت الوحدة المغربية ، وجعلت المغاربة جميعهم امة واحدة متماسكة ودولة واحدة قوية .

لقد كان المه شديدا ، وحزنه عميقا ، عندما لاحظ بعض التفريط في اللغة العربية وفي بعض المثل العليا التي حافظ عليها المغاربة طوال تاريخهم، فكتب يقول (5) : « نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال واعظم ما نهتم له شيآن : احدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون ، ومتى اجتثت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء ، فان ابناء ذلك الشعب ، سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة . وثانيهما : التفريط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب ، وكنزه الموروث ، المحافظ عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع أنحاء بلاد العرب ، منذ أوائل القرن العاشر الهجري ، وليت شعري لماذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن اهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسس ديننا

---

(4) سوس العالمة ص 20 الى 24 .

(5) المعسول ص ج .

الحنيف ، والمحافظة على هذه اللغة التى استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم فى جعلها هى اللغة الوحيدة فى البلاد ، ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهى دول بربرية صميمة » .

لقد كان يعتبر اللغة العربية ، اللغة الوطنية الوحيدة والموحدة للبلاد ، وهو بذلك يؤكد على ضرورة الحفاظ على هذه الوحدة الوطنية التى تتجلى فى اللغة والعقيدة والتربة ، ومن هنا نراه يهتم كل الاهتمام بقضية الصحراء المغربية ، فيكتب عنها صفحات فى كتابه « المعسول » ويتتبع المواقف التى وقفها الملك الحسن الاول ضدا على الانجليز عند ما احتلوا مدينة « طرفاية » حتى اخرجهم عنها ، والامدادات التى كان يمد بها الشيخ ماء العينين عندما كان مقره بالساقية الحمراء وتوالت هذه الامدادات للشيخ ماء العينين فى عهد المولى عبد العزيز عندما صار يقاوم الوجود الاستعمارى فى الصحراء ، وبعد انتقال الشيخ ماء العينين الى تزنيت « ارسلت الاسلحة والذخائر الى الصحراويين من طرف خفى ، وعينت شخصيات صحراوية بظهائر شريفة كقواد يمثلون سلطان المغرب هناك ، مما يدل على ان المراد أن يعرف الصحراويون المعينون على قبائلهم من طرف سلطان المغرب ، انهم نوابه فى الدفاع عن الصحراء التى هى جزء متم لارض المغرب » .

لقد كان رحمه الله يتابع قضية الصحراء فى عهد الاستقلال متابعة الخبير وكان يعتبر الساقية الحمراء ووادى الذهب وتيندوف وتوات أجزاء لا تتجزأ من الاراضى المغربية ، ولقد كتب فى جريدة صحراء المغرب التى كان يصدرها الزعيم علال الفاسى رحمه الله مقالا اثبت فيه بالحجة الدامغة والدلائل القطعية مغربية تيندوف ، الجزء المقتطع من بلادنا ، والملحق ببلاد الجزائر فى عهد الاستعمار .

ان الحفاظ على كيان المغرب وذاتيته وشخصيته وحضارته وثقافته من القضايا التى اهتم بها ونصب نفسه للدفاع عنها ، فلقد كان يرى انه سياتى يوم تحاسبنا فيه الاجيال اذا ما نحن ضيعنا اية قيمة من المقومات التى بنيت عليها ذاتيتنا وسجلها تاريخنا ، ولقد كتب يقول : « نحن نوقن انه سياتى يوم يثور فيه أولادنا أو احفادنا ثورة عنيفة

ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود ، ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما فى امكانهم استدراكه » .

ولعل هذا ما دفعه الى أن يهتم ذلك الاهتمام العديم النظير بالتاريخ المغربى عامة وتاريخ سوس خاصة ، حيث كان يرى أن الامة التى تنسى ذاتيتها وتاريخها وحضارتها ، تفقد وجودها ، وتذوب فى غيرها .

والتجارب التى مرت عليه فى حياته ، سواء وهو فى « سوس » أو عندما انتقل الى مراكش وفاس والرباط وغيرها من الانحاء المغربية ، والاتصالات والعلاقات التى ربط مع كثير من الشخصيات ، وبالاخص عندما كان بفاس ، جعله كل ذلك يفتح عينيه على كثير من الحقائق فهو من جهة محافظ كل المحافظة على ما تركه الاجداد من اسس حضارية وقيم أخلاقية وتمسك بجوهر الدين ، وهو من جهة ثانية ادرك ادراك الخبير انه لابد من اقتباس ما اتت به الحضارة الغربية الحديثة ، ولكن هذا الاقتباس يجب أن يكون فى حدود ما يفيد وما يساعد المغرب على السير فى الحياة الجديدة التى لابد منها لمن يريد أن يساير ركب الحياة ولعل أخوف ما كان يخافه أن تجرفنا هذه الحضارة المادية التى بعد عهد آبائنا واجدادنا بها ، فنقبل عليها دون تمييز ، وننهل منها دون رقيب ، وهكذا نضيع من جملة ما نضيع قيمنا وتقاليدنا وعقائدنا وأفكارنا .

ان نشوءه الاول فى قرية نائية ، بعيدة عن الحضارة والحركة والتأثر بالتأثيرات المختلفة وانتقاله بعد ذلك الى جو حضارى جديد يختلف بعض الاختلاف عن الجو الذى عاش فيه لاول وهلة ، جعله يدرك أن القدرة على الانتقال من طور الى طور فى الحياة ، والتمييز بين الصالح والطالح فى هذا الانتقال ، لا يستطيعه الا المتبصرون الواعون ، فالحياة الجديدة المتفتحة قد تعمى الابصار عن رؤية كثير من الحقائق ، وقد تنسى الانسان كثيرا من وجوه الخير .

فلنستمع اليه يصف لنا ما وقع فيه المغرب بعدما دهمه الاستعمار بخيله ورجله ، بحضارته وعلومه المادية ، بعوائده وتقاليده ، بافكاره ومذاهبه . لقد كتب يقول (6) : (دهم علينا الاستعمار بخيله

---

(6) المعسول جزء (1) ص : ج

ورجله ، بلونه وفكره ، بسياسته ومكره ، بحضارته المشعة ؛ بعلومه الحيوية المادية ، بنظامه العجيب ، بمعامله المنتجة السريعة ، بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية ، فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة ، فوجدوا كل ما يعرفون قد تغير تغيرا تاما ، وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور ، مندفعا الى كل ما يروقه ، اقبل بنهم شديد على التهام كل ما فى هذه الحضارة الغربية العجيبة ، التى تغير على جميع نواحى الحياة ، فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار ، وكل ما يمت الى العادات ، فاذا بالمغرب يتحول فى عهد قصير ، الى مغرب آخر ، يغاير كل ما كان معروفا منه فى الامس ، فاذا بأمثالنا نحن الذين كنا نعيش فى شرخ شبابنا فى المغرب المستقل قبل 1330 هـ قد كدنا نكون غرباء فى طور شيخوختنا فى المغرب المستقل من جديد 1375 هـ فقد حرصنا ان لا ننكر الا ما يستحق ان ينكر ، وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد ، واجتهدنا أن نساير العصر ، وان نتفهمه فلا ننكر أخذ ما لابد من أخذه من اساليب الحضارة ونظمها وعلومها ، لان الحكمة ضالة المومن ، يلتقطها انى وجدها ، ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا فى التحول السريع الذى لم يراع فيه ــ حسب انظارنا نحن المسنين ــ حكمة ما بين التفريط والافراط ، فنحاول ان تجمع بين محاسن امس واليوم ، ناصبين ميزان القسط ، فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة المادية التى اندفع هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال) .

انه لا يرفض التطور والاقتباس والاستفادة من الحضارة الغربية ، ولكنه يرفض الرفض القاطع الاقتباس الاعمى ، والافراط فى التقليد ، انه يتألم شديد الالم من هؤلاء الذين امتلكوا زمام التسيير بعد الاستقلال ، فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين الغث والسمين ، ولا بين الصالح والطالح ، بل اندفعوا يقلدون الغرب الاستعمارى فى كل ما أتى به ، وما سارت فيه حضارتهم التى امحت فيها الحياة الروحية محوا أصبحوا يجنون ثمار آلامه اليوم ، لقد قلدوا الغرب الاستعمارى فى لباسهم فى اختيار تأثيثهم فى حفلاتهم فى عوائدهم وحتى فى مقاييس أخلاقهم واذواقهم وافكارهم ، لقد كانت للمغرب مقاييسه وتقاليده ومعاييره فى كل ما ذكر وفى غيره ، فهل عفى الزمان على كل تلك المقاييس ؟ وهل ثبت انها غير صالحة للحياة ؟

فلماذا نبدلها هذا التبديل ولماذا نهجرها هذا الهجران ؟ انه وباء التقليد الاعمى الذى لا يفيدنا فى شىء ، فهل التطور هو التنكر للقيم والمقاييس التى كان عليها الآباء والاجداد مهما كانت صالحة ومفيدة وضرورية للحيـــــاة المستقيمة ؟ وهل الاقتباس هو أخذ ما اتى به الاجنبى الدخيل مهما كان ضارا وغير ملائم لديننا وتقاليدنا الصالحة ؟ ان التزام هذه الامة المغربية بدينهـــا الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى ، فرض عليها السير فى منهاج للحياة لا يمكن مطلقا ان ينحرف عن المنهاج الذى اتى به رسول الاســـلام فالمقاييس والمثل العليا لا توخذ الا من الاسلام ، والتحاكم لا يكون الا للاسلام ، والتطور لا يكون الا فى دائرة الاسلام ، واذا كان الاسلام دين العلم والفكر والتقدم والخلق ، واذا كان الاسلام لا يتنكر لكل صالح مفيد اتت به مختلف الحضارات، فلماذا نبتعد عن مقاييسه ونستبدلها بمقاييس ومعايير اخرى ؟ ان هـــذا هو الخسران المبـــين .

ان شخصية المختار السوسى متعددة الجوانب ، ولكن الطابع الذى غلب عليه ، هو الطابع العلمى الأدبى التاريخى ، فهو عالم باحث أديـــب مؤرخ ، وهو كاتب شاعر مؤلف ، وهـــو مع ذلك سلفى موجه ، تأثـــر بصوفية والده ، فكان لها انعكاس على حياته ، وأعجب بسلفية استاذيه الدكالى والعلوى فسار على نهجهما فى مقاومة البدع المنكرة التى تخالـــف جوهر الدين ، ولا تتلاءم مـــع قدسيتـــه ونصاعة مبادئه وحقيقة دعوتـــه التوحيديـــة .

ان الحديث عن كل جوانب المختار السوسى يتطلب صفحات أكثر ، ودراسة أوعى ، خصوصا علمه وادبه وشعره وتآليفه التى بز فيها الاقران ، وحقق ما لم يستطع غيره أن يحققه مدى الاعوام ، فلأكتف الآن بهـــذه الارتسامات عن حياة فقيدنا العزيز ولأدع الله ان يكافئه على ما قدم من الصالحات ، ويبوئه مقعد صدق عنده .

أبوبكر القادرى



الاستاذ المرحوم محمد المختار السوسى والاستاذ ابوبكر القادرى (مدير المجلة) فى مطار (سلا) ساعة استقبال جلالة الملك المنعم محمد الخامس يوم رجوعه من المنفى

الوحدة
في فكر محمد المختار السوسي

للاستاذ عبد القادر الادريسي

يمثل محمد المختار السوسى احدى القمم الثقافية فى القرن الرابع عشر الهجرى التى ازدان بها المغرب وافاد من عطائها وجهادها ونضالها فى مختلف المجالات وكانت علامة بارزة على طريق معركة التحرر التى خاضها الشعب المغربى من أجل بناء الذات واثبات الكيان ونشدان الحرية والاستقلال .

واذا كانت الشعوب والامم تقوم من غفوتها على أيدى روادها وقادة وطلائع نهضتها ، فان لفقيدنا العزيز محمد المختار السوسى فضلا وحظا وافرا فى هذه الحركة الفاعلة والصامدة التى انطلقت فى بلادنا فى وقت مبكر من القرن الهجرى الماضى وشملت جميع مناطق المغرب من شواطىء البحر الابيض المتوسط شمالا الى تخوم الصحراء جنوبا لتصد عن الوطن غارات الاستعمار وتتولى الدفاع عنه فى وجه الطغاة والطامعين الذين كانوا يتربصون به الدوائر فى حملة صليبية ما ابثت أن تصاعدت لتغرق البلاد فى صراع محموم تضخم وتشعب وانفجر فأصابت شرارته العقل والوجدان بعد أن امتدت الى الارض وضربت حولها حصارا رهيبا .

لقد نشأ محمد المختار فى كنف أسرته العلمية التى طار صيتها بين الأوساط كمعقل للتكوين العربى الاسلامى . واخذ منذ نعومة اظفاره طريقه نحو التربية المتينة والتكوين السليم والنشأة الثقافية السوية ليشب عن الطوق ويستوى يافعا لا ينقصه العلم ولا تعوزه التجربة فيمضى فى الاتجاه

الذى حدده له قدره المكتوب حتى اذا حانت ساعة المواجهة كان صلب العزيمة قوى الارادة شديدة الشكيمة ثابت القدم رابط الجأش لا تفزعه التهديدات ولا تفتنه الاغراءات ولا تنال منه الصعوبات منالا . وشاءت الاقدار ان يصطدم مع السلطات الاستعمارية فى وقت كان من المنتظر أن يقع الاصطدام ليبدى محمد المختار السوسى من ضروب المقاومة والصمود والثبات على المبدا ما يزيد خصوم الحق المغربى والمتطاولين على سيادته حرصا على ملاحقته واحكام الحصار حوله والامعان فى التضييق عليه والاساءة اليه والتنكيل بـه .

وليست قصة الكفاح الذى خاضه محمد المختار السوسى هى المظهر البارز الوحيد فى صفحات سيرته ، وانما هناك مواقف عظيمة بلغت من النبل والشهامة والاباء مبلغا جعلته فى الطليعة من رجال المغرب الاعلام والمجاهدين العرب والمسلمين العظام المشهود لهم بالشجاعة والاقدام والاصرار على رد التحدى ، ولعل اعتزاز محمد المختار السوسى بلغة القرآن واستمداده منها أسباب نبوغه وتفوقه هو من العلامات المضيئة فى حياته الحافلة بضروب النضال . فلقد برز محمد المختار السوسى لاعداء الوحدة المغربية ففند دعاواهم وابطل كل ما عملوا له لاحداث الشقة بين ابناء الشعب الواحد والوطن الموحد ، وأبرز بعمله وسلوكه تماسك المغاربة هذا الخطر الداهم ووقوفهم فى وجه ما يتهدد امنهم الحضارى وأمانهم الفكرى واستقرارهم الوطنى . واعطى رحمه الله بسيرته تلك نموذجا لرجل الوحدة الذى يؤمن بمصير شعبه ويعض على المبادىء والمقدسات بالنواجد ، ولا يرضى بديلا بسلامة كيانه الوطنى ، ويقبل التضحية بكل شىء من أجل أن تحتفظ بلاده بمكانتها التى وضعها فيها التاريخ .

لقد تمثل فى محمد المختار السوسى الايمان بالوحدة فى أجلى معانيه ، وضرب لنا اروع الأمثلة فى الوفاء والالتزام والتمسك والثبات على ما نشأ عليه آباؤه واجداده من المتقاد راسخ بالاسس الحضارية والقواعد الثقافية التى يقوم عليها الكيان المغربى والجامعة بين الاسلام والفصحى . فعاش مؤمنا بترابط وتلازم العنصرين لا يفرق بينهما فكان داعيا اسلاميا ومصلحا تربويا واستاذا لجيل حيث تخرج على يده أفواج من المثقفين والمتعلمين معظمهم الآن يشغلون مناصب مهمة فى اجهزة الدولة . وقضى عمره مبشرا

بالفصحى معلما لها داعيا اليها مشجعا على الاقبال عليها .

ولم يكن فى اعتقاد محمد المختار السوسى ان ثمة أدنى فرق بين الفصحى وهى جوهر العروبة وبين الاسلام وهو دين هذه الامة ومصدر عزهــا وكرامتها ، ولذلك لم يكن غريبا أن ينبغ ذلك النبوغ البارز فى علوم العربية ، وأن تعرف بيئته السوسية بعشرات النوابغ الأفذاذ الذين برزوا فى اللغة العربية ونشروها وخدموها وأضافوا اليها الجديد النافع . ومن حسن الحظ ان محمد المختار السوسى سجل لنا جوانب مهمة من تاريخ هذه المنطقة .

لقد كان محمد المختار السوسي وهو ابن سوس داعيا للعروبة والاسلام ، وأسمع كلمته للعالم بأن المغرب بكل فئاته وعناصره هو جزء من الامة العربية الاسلامية ، بل ان محمد المختار السوسى أقام الدليل القاطع أن بربــر المغرب من العرب الأقحاح فى جذورهم البعيدة . ولعل هذا هو الســر فى ذيوع العربية وازدهار فنونها وسط قبائل سوس البربرية .

وفى الوقت الذى كان محمد المختار السوسى يمضى قدما فى هذا الطريق لا يحيد عنه ، كان الاستعمار الفرنسى يدبر مؤامرته الانفصالية مع مطلع الثلاثينات ويختار لها المنطقة البربرية ، وكما ان المقاومة التى لقيهــا المشروع الصليبى الاستعمارى من سكان الأطلس أنفسهم فاقت مقاومة سكان المدن ، فان رد الفعل فى سوس وغيرها من المناطق التى اتجهت اليها عناية المستعمر لهذا الغرض تمثل فى النشاط العلمى والأدبى والثقافى الذى قاده محمد المختار السوسى وعرف كيف يجعل منه سلاحا يرد بـــه على خصوم الوحدة المغربية ، وقد أحس المستعمر بهذا الخطر الـــذى يتهددهم من قبل رجال سوس وعلى راسهم محمد المختار السوسى ، فعمد الى النفى والسجن والتعذيب وكان حظ صاحبنا من هذا كله وافيا .

لقد ابطل محمد المختار السوسى النظرية الاستعمارية من الاساس . وجعل كل حاقد على المغرب أمام الأمر الواقع المتجلى فى أمتزاج العروبة والاسلام فى هذه البلاد واستحالة الفصل بينهما .

وتلك هى القيمة الحقيقية التى تختصر جهاد محمد المختار السوسى .

عبد القادر الادريسى

حياة فقيد المغرب
السيد المختار السوسي

للأستاذ محمد المنوني

معلومات اولى من المترجم – دراسته فى سوس – الرحلة الى مدرسة الساعدات – الرحلة الى مراكش – الرحلة الى فاس – الرحلة الى الرباط – مذكرات وروايات – حياة الاستاذية فى مراكش – حياة المنفى بسوس – العودة الى مراكش – بعد الرحلة من مراكش – وفاته – مؤلفاته – شخصيته .

معلومات اولى عن المترجم :

هو محمد المختار بن الشيخ على بن احمد السوسى الالغى ، ولقبه المدنى : رضى الله محمد المختار السوسى ، وقد سجله فى البيضاء سنة 1374 هـ .

اما الجد الاعلى الذى ينتسب له قبيل المترجم ، فهو السيد عبد الله ابن سعيد التهالى (1) المتوفى بعد سنة 1051 هـ .

والمترجم من مواليد صفر 1318 هـ ، فى « الغ » (2) حيث كانت نشأته ، وبهذا المركز ابتدأ تعلمه الاولى داخل دارهم ، على والدته التى هى بنت الاستاذ العربى بن محمد الادوزى ، (3) وبعد ما تلقن عنها يسيرا تابع اخذ القرآن الكريم – فى الغ وخارجها – على عدة اساتيذ ، حتى بلغ الخاتمة القرآنية السابعة . وذلك مختتم سنة 1328 ، حيث كانت وفاة والـده (4) .

1) له ترجمة فى « المعسول » ج 1 ص 80 – 116 .
2) قرية تبعد عن تيزنيت شرقاب 84 ك م . وهى غير ايليغ الواقعة فى تازوروالت فى دائرة تفـراوت .
3) له ترجمة فى « المعسول » ج 5 ص 149 – 221 .
4) ترجمة فى « المعسول » ج 1 ص 148 – 324 .

دراسته في سوس :

فى اوائل 1329 هـ ابتدا المترجم الدراسة العلمية ، فى فترة امتدت حتى اواخر سنة 1347 هـ ، وقد طاف خلال هذه الحقبة ـــ على أكثر منابع العلم بالمغرب ، فى سوس ، والحوز ، ومراكش ، وفاس ، والرباط.

وهكذا ـــ بعدما درس قليلا فى الزاوية الالغية ـــ التحق وسط سنة 1329 هـ بمدرسة « ايغشتان » الواقعة فى الشمال الشرقى لالغ ، وقد أخذ فيها عن العالم سيدى عبد الله بن محمد الالغى .

وفى اواخر سنة 1331 هـ . انتقل الى المدرسة البونعمانية بآيت برايبم ، عند العالم الصالح سيدى أحمد بن مسعود البونعمانى ، ثم بعد نحو سنة ، صار الى مدرسة تانكرت بافران ، وفيها قرا على العلماء : سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، وولده سيدى محمد ، ومولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ، وقد اقام بها الى اواخر سنة 1336 هـ .

ومن بين ما أخذ فى هذه المدارس : المقدمة الاجرومية ، ولامية المجرادى فى أحكام الجمل ولامية ابن مالك فى التصريف ، والخلاصة ، ولامية العجم ، والمقامات الحريرية ، وبعض الرسالة القيروانية ، والمختصر الخليلى والتحفة والفرائض والحساب ، مع كثير من القصائد الادبية ، المتداولة فى الدراسة ، وغالب استفادته فى هذه المدارس ، كان فى الادب القديم ، واللغة العربية .

الرحلة الى مدرسة الساعدات :

فى اثناء سنة 1337 هـ . رحل الى مدرسة الساعدات باولاد ابى السباع ، حوز مراكش وهناك اخذ عن العالمين : سيدى عبد القادر السباعى ، وصنوه سيدى الضوء ، واستفاد من أدبهما بصفة خاصة .

الرحلة الى مراكش :

لم يبطىء المترجم ـــ كثيرا ـــ فى مدرسة الساعدات ، التى انتقل عنها الى مراكش اول سنة 1338 هـ . وسكن فى مدرسة ابن يوسف ، وقد حضر فى هذه المدينة دروس العلماء السادة : محمد بن الحسن الدباغ، ومحمد بن عمر السرغينى المشهور بابن نوح ومحمد بن بوبكر السرغينى،

وبوشعيب الشاوى ، ومولاى الحسن السرغينى ، وعمر الجرارى ، واحمد ابن الحسن الاخصاصى ، ومولاى احمد العلمى ، واليزيد الرودانى ، وفى مراكش — ايضا — أخذ عن بعض العلماء الواردين عليها ، امثال الشيوخ : عبد الرحمن بن القرشى الامامى وفتح الله البنانى ، ومحمد ابن عبد الله السباعى ، وأبى شعيب الدكالى ، الذى كان وروده على هذه المدينة فى سنة 1342 هـ . وفى صدد ابى شعيب ، يذكر المترجم أن اتصاله به كان اجابة لباب ، وفتحا لباب آخر ، وكان ذلك من أعظم الاسباب التى حفزته الى تتبع الدراسة ، واقباله عليها اقبالا كليا .

وفى مراكش أخذ المترجم أبعاضا من المختصر الخليلى والتحفة والزقاقية ، والخلاصة والتلخيص ، والجوهر المكنون ، والاستعارات ، والخزرجية ، والسلم ، وجمع الجوامع ومختصر المواهب اللدنية ، والجامع الصحيح للبخارى .

وقد استمر مقام المترجم بهذه المدينة الى اواخر سنة 1342 هـ اى مدة من خمسة اعوام . اشتغل فيها — كثيرا — بالادب دراسة ومطالعة، مع مطالعة الكتب التاريخية ، وفى هذه الفترة — ايضا — صار يسمع عن الحركة العلمية المعاصرة قليلا ، وتصدر عنه آثار أدبية شعرا ونثرا .

الرحلة الى فاس :

فى مفتتح سنة 1343 هـ . رحل المترجم الى فاس ، واستقر فى بيت بالمدرسة العنانية ، وقد أخذ فيها عن العلماء السادة : احمد بن المامون البلغيثى ، ومحمد بن جعفر الكتانى وعبد السلام بن عمر العلوى ، ومحمد ابن الطيب البدراوى والعباس بن بوبكر بنانى ، ومحمد بن الحبيب الفيلالى نزيل فاس ثم مكناس ، ومحمد الحجوجى ، ومحمد بن عبد الملك الرسموكى، وعبد السلام بن عبد الله الفاسى ، والحبيب المالكى الجزائرى ، وكان الذى درسه بفاس ، هو اغلب الكتب التى أخذها بمراكش ، وزاد بقراءة مواضيع من الموطأ ، والشمائل الترمذية ، والشفا ، والمسند لابن حنبل ، والحساب ، والجغرافيا مع المعلقات السبع عن آخرها ، ومقامات كثيرة من المقامات الحريرية ، واكثر من ربع الكامل للمبرد ، ونحو خمسمائة بيت من حماسة أبى تمام ، وكان استاذه فى هذه الادبيات ، هو العالم المصلح . محمد بن العربى العلوى ، الذى وجد المترجم فى دروسه مادة لغوية كبرى ، وتلقح لديه بالادب المعاصر ، كما تلقح عنده بالفكرة الدينية الجديدة ، والغيرة الوطنية الحية .

وشىء آخر استفاده المترجم من فاس ، ففيها اخذ يتصل بالحياة العصرية : بجرائدها ، وجغرافيتها وكتبها الجديدة ، كما صار يقرأ عن الحركات الحديثة بالشرق ، وحركات تونس ، وجمعية العلماء بالجزائر، وفى فاس — ايضا — تعرف بزمرة من نخبة الشباب المغربى الواعى .

وهكذا تلقح المترجم فى جو فاس ، وجاش بقصائد حية ، وساهم فى تأسيس بعض الجمعيات السياسية السرية ، والمنتديات الادبية .

الرحلــة الــى الـربــاط :

مكث المترجم بفاس حتى اواخر سنة 1346 هـ . وفى مفتتح العام التالى التحق بالرباط التى درس بها على العلماء السادة : ابى شعيب الدكالى، ومحمد المدنى ابن الحسنى ، ومحمد عبد السلام السايح ، وقد اخــذ عن الاول ، بعض احزاب من التفسير ، ونحو النصف من العاصمية ، وبعض دروس من الامالى لابى على القالى ، حيث ادركه يدرسها مــع الطلبــة .

واخذ عن الثانى كثيرا من التلخيص للقزوينى ، ونحو نصف مــن الزقاقية ، ونحو ثمن المختصر الخليلى والفية العراقى فى اصطلاع الحديث، مع مراجعة علوم الحديث لابن الصلاح ، وبلوغ المرام فى أحاديث الاحكام لابن حجر العسقلانى من اوله الى آخره ، بمراجعة تلخيص الحبير لنفس المــؤلــف .

اما العلامة السايح ، فقد قرأ عليه دروسا غير كثيرة من عمدة الاحكام مع املاءات ابن دقيق عليها ، واخذ عنه فى بيته كثيرا من الموطأ ، وذكراه — كثيرا — فى كل ما يعرض من مسائل ، وفى مجالس هذا الاستاذ تدرب على تطبيق الاصول على المسائل عند الاستنباط .

وفى الرباط — أيضا — تحرر المترجم من النثر المسجع الى المرسل ، بتوجيه صديقه الاستاذ الكبير محمد بن العباس القباج .

مــذكــرات وروايــات :

فى مدينة الرباط ، وقبلها بفاس ، تدارس المترجم مع نخبة مــن

زملائه فى الطلب : طائفة من الكتب المهمة فى النحو والادب والحديث والاصول .

كما اتصل — فى مراكش — بالفيلسوف المغربى : محمد الرافعى الجديدى مدة من ثلاثة شهور ، واستفاد منه فى مجلس مذاكراته .

وللمترجم روايات قليلة ، فقد روى حديث الرحمة المسلسل بالاولية عن الشيخ محمد بن جعفر الكتانى ، أول ما لقيه بمرسى الدار البيضاء فى عودته الى الديار المغربية ، وروى أوائل الكتب الست عن الشيخ محمد المدنى ابن الحسنى فى منزله بالرباط ، كما سمع — ايضا حديث الرحمة المسلسل بالاولية هو كتاب السطور ، على الشيخ الهاشمى بن عبد الله ابن خضراء ، بداره فى مدينة سلا ، عشية الجمعة 23 جمادى الاولى سنة 1378 — 5 دجنبر 1958 .

وله اجازات مكتوبة من عدة اعلام ، امثال مؤرخ مراكش القاضى عباس بن ابراهيم ، وقاضى مكناس محمد بن احمد العلوى الاسماعلى ، ومؤرخ مكناس النقيب عبد الرحمن ابن زيدان ، وشيخ الجامعة الزيتونية بتونس محمد الطاهر ابن عاشور ، ومحدث الحجاز عمر حمدان المحرسى.

حياة الاستاذية فى مراكش :

نزل المترجم مراكش اول المحرم سنة 1348 هـ . وهنا يبتدىء حياة الاستاذية والتأليف : فيقوم بالقاء دروس فى عدد من مساجد الحمراء ، فى الحديث والسيرة النبوية ، والفقه وأصوله ، والنحو .

كما يحول زاوية والده بالرميلة الى مدرسة ابتدائية حرة ، تضم أفواجا من التلاميذ الذين يقوم المترجم بنفقة المنقطعين منهم .

وفى اثناء مقامه بمراكش ، أخذ يشتغل بالتأليف ، ووضع مشروعا لتاريخ أمجاد مراكش فى عصرى المرابطين والموحدين : « مراكش فى عصرها الذهبى » ، وذلك بمناسبة استيفاء هذه المدينة سنة 1354 هـ تسعة قرون على تأسيسها وبينما هو منكب على جمع المواد ، اذا بالنفى الى الغ يداهمه ، فيقف المشروع .

وكان قبل عام 1354 هـ . انتظم فى سلك العلماء الرسميين بمراكش،

باقتراح من القاضى الحاج ادريس الورزازى .

وفى نحو هذا التاريخ كان زواجه بالسيدة ام اولاده .

حيـــاة المنفـــى بســـوس :

نفى المترجم من مراكش الى الغ ، فى 28 حجة متم سنة 1355 هـ ، ثم فى اواخر سنة 1360 هـ ، رخص له فى التجول بسوس وحدها ، حيث امكنه ان يسافر الى نواحى من سوس ، ولم يعد لمراكش الا فى اواخر سنة 1364 هـ . فهى تسع سنوات قضاها فى المنفى .

وفى خلال هذه الحقبة تفرغ للتأليف حول ســـوس ، فكتب عـــن امجادها الغابرة والمعاصرة ما يناهز الخمسين جزءا فى خصوص سوس ، التى يقصد بها جنوب مدينة مراكش ، وهذا الموضوع سيتوضح فى مكان لاحق من هذه العجالة .

العـــودة الـــى مـــراكش :

عاد المترجم الى الحمراء ، اواخر سنة 1364 هـ . وفى هذه المرة لم يشتغل الا بالتدريس الجامعى ، حيث اعتكف على التدريس فى مسجـــد باب دكالة ، اما التعليم الحر ، فلم يعاوده نزولا عند الاوامر التى تلقاها بعدم مزاولة العمل فى مدرسته الحرة .

وقد حج ـــ سنة 1365 هـ ـــ عضوا فى الوفد المغربى الرسمى .

وفى سنة 1367 هـ . زار تونس عضوا فى جمعية احباس الحرمين الشريفين كما كان رئيسا للجمعية التى سهرت على بناء مدرسة ابن دغوغ بمـــراكش (1) .

بعـــد الرحلـــة عـــن مـــراكش :

فى سنة 1370 هـ . رحل المترجم عن مراكش ، وسكن بمدينة الدار البيضاء ، وذلك عند بداية الازمة المغربية ، وبهذه المدينة اعتقل ـــ وسط

---

1) فى اثناء هذا المقام بمراكش يبتدىء تعرف كاتب السطور بالمترجم سنة 1366 هـ . بواسطة اخ الطرفين المؤرخ البحاثة ابن خليل عبد السلام ابن سودة المرى .

سنة 1372 هـ · مع الفوج الاول من أحرار المغاربة ، ونفى الى معتقل اغبالون كردوس ، بالصحراء ، حيث قضى به سنة ونصفا ·

ولما ان جاء الاستقلال عين وزيرا للاوقاف ، فى اول حكومة مغربية ، اثناء سنة 1375 هـ · وبعد ما قضى فى هذه الوزارة احد عشر شهرا ، عين بعد فى وزارة التاج التى استمر يتقدمها حتى توفى ، وقد ساعدته خفة اشغال هذه الوزارة على مراجعة عدد من مؤلفاته ، وتخريجهـا ونشـرهـا ...

وفـــاتـــه :

توفى بالرباط التى استوطنها منذ فجر الاستقلال ، وكانت وفاته زوال يوم الاحد 29 جمادى الثانية سنة 1383 هـ — 17 نونبر سنة 1963 م· وفى عشية نفس اليوم شيعت جنازته فى موكب طويل ، مشى فيه ممثلون عن الجلالة الملكية ، وشارك فيه — من الرباط وخارجهـا — العلمـاء والمواطنون ، وشخصيات رسمية مغربية واجنبية ، وكان تشييع الجنازة تحت اشراف السيد وزير الاوقاف ، بامر من صاحب الجلالة ، ثم دفن فى مقبرة الشهداء ، جوار ضريح الشهيد علال بن عبد الله ، خارج باب لعلـو بالرباط ·

وقد ابن بعدة خطب · كان فيها خطاب السيد مدير جامعة محمـد الخـامس ·

مـؤلفـاتـــه :

خلف الفقيد مؤلفات كثيرة ، كتب اغلبها فى منفاه بالغ ، ويذكر هنا منهـا 26 مـؤلفا :

1 — سوس العالمة : فى علماء سوس · طبع فى ص 233 ·

2 — رجالات العلوم العربية فى سوس جزء ضخم لا يزال لم يتم ، وهو تكملة لسوس العالمة ، مخطوط ·

3 — مترعات الكؤوس ، فى بعض اثـار ادبـاء سوس يتناول ادباء سوس ، جزءان متوسطان لا يزالان مخطوطين ·

4 ــ الرؤساء السوسيون فى رؤساء سوس فى العهود الاخيرة ، جزء وسط مخطــوط .

5 ــ « المعسول » فى ابناء الغ وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم ، طبع فى عشرين جزءا .

6 ــ « خلال جزولة » وهى تسجيل الارتسامات للمؤلف عن أربع رحلات قام بها فى بعض نواحى سوس اثناء نفيه هناك . طبعت فى أربعة اجزاء : كل رحلة فى جزء .

7 ــ ايليغ قديما وحديثا .. تاريخ حافل حول دويلة اولاد الشيخ سيدى احمد بن موسى السملالى بسوس فى القرن 11 هـ . جزءان وسطان مطبــوعـــان .

8 ــ الالغيات « مذكرات عن حياته فى منفى الغ ، وقد ادرج فيها رسالته : « على قمة الاربعين » آخر الجزء الثانى ، طبعت فى ثلاثة اجزاء .

9 ــ من أفواه الرجال ، جمع فيه المحادثات المتنوعة التى كانت تجرى بينه وبين من يجالسهم اثر نفيه الى الغ ، ثم خرجه فى عشرة اجزاء صغار ، طبع بعضها .

10 ــ « جوف الفرا » مجموعة ادبية ضمنت الكثير من القصائد والرسائل التى تهم الباحث المغربى بالخصوص ، ثلاثة أجــزاء متوسطـــة مخطــوطـــة .

11 ــ « حول مائدة الغذاء » تسجيل لكثير من الاخبار والاحداث التى تلقاها عن الباشا ادريس بن منو ، فى جزء وسط مخطوط .

12 ــ « طاقة ريحان من روضة الافنان » معجم تراجم سوسية اختصره من « روضة الافنان فى تراجم الاعيان » لمحمد السوسى الاجرارى المتوفى سنة 1358 هـ . فى تراجم علماء سوس ورؤسائها . جزء وسط مخطوط .

13 ــ « قطائف اللطائف » مجموع نوادر من حكايات سوسية ، تفيد الباحث فى هذا المجتمع ، جزء متوسط مخطوط .

14 ــ « اخلاق وعادات سوسية » دون فيها مشاهداته عن عادات الغ وما اليها ، جزء مخطوط .

15 ــ « نضائد الديباج ، فى المراسلات بين المختار والقباج » وهــى مجموعة مراسلات دارت بينه وبين صديقه الاستاذ الكبير محمد ابن العباس القباج ، جزء متوسط مخطوط .

16 ــ « بين الجمود والميع » رواية من افكار اسلامية ، نشر ما خرج منها تباعا فى مجلة « دعــوة الحق » .

17 ــ « مجموعة فقهية » جمع فيها ما عثر عليه من فتاوى السوسيين المتأخرين ، مجلد مخطوط .

18 ــ « الترياق المداوى فى اخبار الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى » وضعه فى أخبار والده الشيخ المربى الشهير ، طبع فى جزء واحد.

19 ــ « منية المتطلمين ، الى من فى الزاوية الالغية من المنقطعين » جمع فيها زهاء 170 من تلاميذ والده الملازمين له ، جزء صغير مطبوع فى 125 ص .

20 ــ « اتحاف النبيه فى مناقب سيدى احمد الفقيه » جزء صغير ألفه فى احوال احد أصحاب والده السيد أحمد الفقيه الركنى المذكور هو وعائلته فى المعسول ج 16 ص 5 ــ 38 .

21 ــ « محاضرة فى الثوار السوسيين » وهم نحو عشرين ، تقع فــى كراســة مخطــوطــة .

22 ــ « مدن سوس الموجودة والمندثرة » تقع فى كراسة مخطوطة .

23 ــ « الصالحون المتبرك بهم من سوس أخيرا » يضم زهاء 60 ترجمة ولمــا يتمــه .

24 ــ « معتقل الصحراء » مذكرات عن حياته فى اغبالون كردوس خلال مدة النفى التى قضاها فى هذا المعتقل ، وفيه معلومات عن رفقائه هناك ، لا يزال مخطوطا فى جزءين .

25 ــ « تراجم أساتذة الحضريين » شبه فهرس موسع لمشاهير أساتذته ومجيزيه من سكان المدن ، لا يزال لم يكمل .

26 ــ « أصفى الموارد » ارجوزة طويلة ، هذب فيها نظم الرحلة الحجازية لوالده ، طبعت فى ص 70 .

شخصيته :

بهذه العجالة القيت نظرة ــ ولو انها عابرة ــ على حياة المترجم ، استقيتها من بعض مؤلفاته ومن بعض محادثاته .

ومن هذه النظرة تدرك اننا أمام شخصية كبيرة : شخصية علمية واسلامية ، كونتها ملازمة طويلة لكثير من مشايخ العلم بالمغرب فى البوادى والحواضر ، ثم لقحتها مطالعات ، ومذاكرات واتصالات .

ولكى تكتمل هذه الدراسة يحسن ان نقف ــ قليلا ــ لنحلل بقدر الامكان شخصية المترجم .

ان ميزة الفقيد العلمية ، تلمع ــ اولا ــ فى ثقافته الادبية واللغوية، فهو شاعر فحل ، سريع البديهة ، يرتجل الشعر كثيرا ، وهو كاتب بليغ طويل النفس ، وهو متضلع من اللغة العربية تضلعا قل نظيره عندنا.

يعجبك فى ادبه ديباجته العربية الفصيحة ، التى يزدوج فيها الادب العربى القديم بالحديث ويعجبك فيه غوصه على أدق المفردات اللغوية ، غوصا ينم عن تضلع مكين فى اللغة ، ويعجبك فيه ما يجيش به ــ احيانا ــ من روح اسلامية ، واحساسات عربية ، وعواطف وطنية ، ثم ما يتخلل انتاجه من تلميحات بديعة ، وحكم منبعثة عن تأملات صادقة .

***

والمترجم مؤرخ مغربى ، تخصص فى البحث عن تاريخ سوس والغ بصفة خاصة ، فكتب ما يناهز خمسين جزءا : فى تاريخ سوس السياسى، والادبى ، والاجتماعى ، وفى تراجم السوسيين : علماء ، وأدباء ، ورؤساء، وفى العائلات العلمية ، وفى الاخبار والنوادر ، وفى ارتساماته عن رحلاته فى نواحى جزولة ، وفى ذكريات الغ .

ومما يزيد فى أهمية هذه الآثار ، ان المؤلف انما استقى كثيرا من موادها ، من أفواه الرجال ومن بطون الاوراق المنسية ، والمقيدات المهملة، ولو انه لم يسجل هذه المواد لكانت فى عداد المجهولات .

وظاهرة اخرى فى بعض هذه الآثار ، فانها دونت شيئا غير قليل من أمجاد المغرب ، ومن تاريخه المعاصر فى نطاق سوس وخارجه ، فانا نجد « المعسول » فى الجزء الرابع يؤرخ كفاح سوس ضد الاستعمار بقيادة الزعيم المغربى احمد الهيبة ، ونفس المصدر ، يسجل فى الجزء 16 صفحات من كفاح تافيلالت التحريرى ، وفى الجزء العشرين من المعسول — ايضا — توجد مذكرات القائد الناجم عن مشاهداته فى العهدين العزيزى والحفيظى . وكتاب « الالغيات » هو الآخر ، يحتفظ بنتف عن سير الحركة الوطنية بالمغرب المعاصر ، وفى « خلال جزولة » نعثر على لوائح طويلة للمخطوطات التى وقف عليها المؤلف بهذه الجهات وبعضها نادر جدا .

ومما يزيد — ايضا — فى أهمية بعض مؤلفات الفقيد ، انها تشتمل على عدد من المؤلفات والرسائل الصغرى المخطوطة ، بنصها الكامل ، كما تشتمل على ملخصات وافية لعدد آخر من الآثار الغير المطبوعة ، هذا زيادة على الكثير الطيب من نصوص الادب السوسى المعاصر ، وأدب المؤلف نفسه .

وفى صدد ما عسى أن يوجه حول هذه المؤلفات من ملاحظات منهجية، يذكر المترجم ان خطته فيها انما هى جمع المواد لمن سيكتبون وينظمون غدا ، واما ان ندعى اننا — حقيقة — نكتب التاريخ كما ينبغى ، فان ذلك افك صراح كما يسجل هذا فى افتتاحية « سوس العالمة » .

* * *

وللمترجم معرفة واسعة بنوادر المخطوطات العربية التى اطلع عليها فى مختلف الخزائن المغربية التى زارها ، وما اكثر الخزائن التى دخلها ، فى الحواضر والبوادى ، وقد اكتشف بنفسه — عددا من المخطوطات التى لم تكن تعرف من قبل ومنها — على سبيل المثال فقط — ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، ومختصر رحلة العبدرى لمؤلف مجهول ، وشذرات من الجزء الاول من مناهل الصفا للفشتالى . وطبقات المالكية لمؤلف مجهول .

والفقيد ــ بعد هذا ــ عالم مشارك في بقية العلوم التي درسها ، مشاركة متفاوتة مخالط للافكار العلمية الجديدة ، مطلع على أفكار رجال الاصلاح الاسلامي المعاصر ، مع تضلع في التصوف الاسلامي .

* * *

وللمترجم مواقف حميدة في بعث العلم ، فقد كان من اول المؤسسين للتعليم الحر بمراكش ، كما ساهم ــ مساهمة مذكورة ــ في تأسيس معهد تارودانت الذي يعد المعهد الاسلامي الاول بالمغرب ، في المحافظة على الاخلاق الاسلامية .

وقد دعا الى تأسيس لجنة لتدوين وفيات اعيان المغاربة في القرن 14 هـ . وحاول تأسيس جمعية للمؤرخين المغاربة ، وندب لوضع بعض المؤلفات التاريخية ، وكثيرا ما كان يمد الخزانة العامة بالرباط ، بنوادر المخطوطات لتصويرها .

وهو معدود من الوطنيين المغاربة الاولين ، فقد جاهد في نشر الوطنية الصحيحة ، وعذب من أجل افكاره ، فنفي مرتين ، قضى فيها ــ معا ــ عشرة اعوام ونصفا في مناف نائية .

* * *

واخيرا : فان الفقيد كان مثال الاخلاق الاسلامية : تواضعا ، وصدق ود ، ومحافظة على التكاليف الشرعية .

وبهذا ــ كله ــ كان الرزء في مصابه عظيما ، وترك موته فراغا لا يسد ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، والحقنا به مسلمين ، ووفق خلفه لمتابعة نشر المخرج من آثاره ، وذلك خير خدمة لروح الفقيد .

محمد المنوني

أول ما رأيتُه وآخر ما ودّعتُه

للدكتور عبد الهادي التازي

ما يزال بين عينى عنوان كنت قرأته منذ خمس واربعين سنة على يسار الصفحة الثالثة من جريدة « الاطلس » عدد الجمعة 13 محرم 1356 26 — 3 — 1937 هكذا : « اختطاف الاستاذ محمد المختار السوسى »، كان هذا العنوان أول ما أثار انتباهى الى هذا السيد الجليل الذى ظهر رد الفعل ازاء نفيه فيما رفع من احتجاجات متوالية الى جلالة الملك والى المقيم العام والى رئيس الحكومة الفرنسية ..

ولقد ورد فى نص الاحتجاج الذى أرسل الى المقيم العام بالمغرب « نحن الممضين اسفله نحتج بكل قوانا على نفى الاستاذ محمد المختار لغير سبب ، ونعتبر هذا التصرف انتهاكا صريحا لحرمة الدين والعروبة اللذين كان الاستاذ يمثلهما ... ونطلب بحماس ارجاعه حينا » .

وقد ورد علينا ثلة من الطلاب الى جامعة القرويين ، كان فيهم الزميل الشيخ سالم ، اتوا من مراكش فراحوا يشيدون بمدرسة (باب دكالة) التى اخذت على عاتقها أن تحفظ لهذا الدين بهجته ، ولهذه اللغة عزتها ، ولهذا المغرب مجده .. وشعرنا ونحن نجتمع بهؤلاء الطلاب اننا أبناء لاسرة واحدة ، فقد كنا نشعر أنهم أخذوا عن معين يلتقى مع المعين الذى عرفناه هنا .. وكنا نجد فى التحدث اليهم متعة ، وفى القربى لهم فائدة ، وقد اخذنا نحس فعلا أمام استاذ جديد لنا قدرناه واكبرناه قبل أن نراه ، واخذنا نتقفى أحواله واخباره كما لو كان بين ظهرانينا يقيم ! .

وذات يوم من ايام الدراسة ... لمحنا بين بلاطات القرويين شخصا غريبا عنا يتقدم ليقترب الى سارية تنتصب وراء حلقة درس كنا نحضره مع تلك الثلة من اخوة الجنوب ، واذا بهم يتهامسون ، واذا بهم يجدون ريح الاستاذ المختار .. ! تسارعنا اليه بعد انتهاء الحصة وتعرفنا اليه ، وتحدث احدنا اليه باسم الطلاب ليعبر له عن فرحتنا برؤياه .. وقد قال للاستاذ فى البداية : « نحن فخورون بوجودكم . ! » ولكن الاستاذ المختار

قبل أن ينتظر ختام العواطف ، بادر ليصحح امامنا كلمة « فخورين » . ان عليكم ان تجمعوا فخور على فخر لان فعول متى كان بمعنى فاعل يجب ان لا يجمع جمع مذكر سالم ! ولما حاول الطالب ان يصحح التعبير ليقول فى الاخير : « القرويين فخورة » .. عقب الاستاذ المختار ليتم القاعدة الاولى ويذكر أن الاصوب ان يقال « القرويين فخور » ، بدون تاء لان فعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ! وكما يفعل الطلاب دوما ، فقد اراد أحدنا أن يجد جوابا « يتملعم » به على الاستاذ المختار وكان هذا الجواب هو ما اعتدنا أن نسمعه باستمرار من افواه الناس : « لحن مشهور خير من صواب مهجور » ، فاذا بالاستاذ المختار يملى علينا درسا فى الاخلاق ما نسيته ولن انساه .. كنا حلقنا عليه ونحن نصيخ بالسمع لما ينطق به من كلام ، لقد قال : « انى اربأ بكم أن تكونوا من الذين يؤمنون بأن اللحن المشهور خير من الصواب المهجور » فان هذا لا يصح أن يكون مبدأ الا للعجزة والجهلة ! وقد شدهنا بحق من كلام واضح عنيف كهذا ، ولكنه تابع يقول : « ان العاجز والمريض هو الذى يرضى بالاخلاد للسكون فلا ينشد العدل والصواب ، وان الظاهرة الاولى للمؤمن القوى ان لا يتردد فى تبيين الخير من الشر .. » واسترسل الاستاذ المختار يقول : « نعم وان الجهلة هم الذين يؤمنون بهذه القولة الظالمة ! افلم يظهر النبى العربى وحده بين الناس ؟ ولقد كان ظهوره هجرا غريبا بالنسبة لما كان مشتهرا بين قريش من عبادة العزى واللات .. ولكن المؤمنين من جدودكم وجدودى هم الذين أثروا صوابه ولو انه مهجور ، ونبذوا الانحراف ولو انه مشهور ! وما ازال اذكر أن كل خلية من خلايا جسمى كانت تصغى الى الاستاذ المختار ، ليس فقط لان كلامه كان جميل الوقع بديع الصياغة ولكنه ــ كما كنا نشعر ــ كان كلاما صادرا عن قلبه المنعم بالايمان القوى بعقيدة الحق .. ولكنه هل وقف عند هذا الحد ؟ لقد اخذ يتحدث وهذه المرة فى تلويحات وتلميحات كانت لا تخفى على طـــلاب يعيشون فى الخلايا الوطنية آنذاك .. لقد اراد أن يقول : « وتلك هى قاعدتنا فى حياتنا وسلوكنا اليوم .. فما كل شىء فيها مشهور يجب ان يخضع له ! وما كل شىء مهجور يجب أن يتنكر له ! وانما علينا أن نكون فى الهجــر والوصال على نحو ما يرضاه ضميرنا » !

وهكذا استطاع الاستاذ المختار بهذا الدرس القصير أن ينقش صورته فى مخيلتنا وصوته فى مسامعنا .. وان الذى يعرف وضع الجنوب أيامئذ ، ويعرف مدينة مراكش على الخصوص ليقدر تقديرا رسالة الاستاذ المختار هناك . لقد كان غريبا مهيض الجناح ، ولكنه كان يتميز عن الغرباء بأنه غنى النفس قوى العزيمة منيع الارادة ، وكل ما كان يلقاه من عنت كان

يعتبره من لوازم وظيفته ومن توابع عمله … ولو كان الاستاذ المختار يريد أن يرفل فى مراكش بين الديباج والحرير ، ولو كان يريدها عيشة راضية مطمئنة ، ولو كان يريدها وهى كاس طاعم ، لكان له ما يريد ولكنه استعصى هناك على « الشقر » و « السمر » على السواء ، ومع انه كان لا يملك الا كساءه ونظارته ، لكن عزته وشهامته كانت فوق كل الحصانات والمناعات !

وبزغ الاستقلال فحمد الشيخ المختار السرى ، ونال الساحة والراحة ولكنه ظل هو هو كما عرفته اول مرة متواضعا نزيها صريحا ، يصحح هفواتك متى أخطأت ويهديك كلما انحرفت ، بل انه دلق فيضه على التأليف والتعريف فى عزم لا يلين - وداب لا يعرف الونى .

وقد كان فى خلاله المعروفة … أنه يمقت التكلف والمتكلفين ، يمكنك أن تلاحظ هذا الخلق فى معاملته مع الناس ، وفى حياته الخاصة ، واذا كان التكلف يعتبر اليوم ، فى بعض الحالات ، ضرورة لا بد منها لحياة أسلم ، فان الاستاذ المختار كان يرى فيه مظهرا من مظاهر التمعد والضعف وهو — وقد اقتنع بصواب هذه المنقبة — لا بد أن يعيشها بين أصدقائه وذويه بكل وسيلة —

قصدت زيارته مودعا قبل سفارتى الاخيرة الى بغداد ، فسألته عن انسب الاوقات للزيارة فقال لى : « او أخذت تتعلم استنباط المواعيد من شيوخك ؟ ! فحاولت أن انفلت من انتقاده قائلا : ولكن لاضمن وجودك فى البيت فقط ! فاقترح على السادسة صباحا ! ولم أتردد ، فزرته … لقد اسمعنى من نافذ القول وبالغ الكلام ما سيظل ماثلا أمامى ، وقرأت على وجهه آثار العياء ، فكنت بين الآونة والاخرى اهم بالانصراف ، لكنه — يرحمه الله — كان يباسط بما عهد فيه ويطلب الى أن أبقى … وعلى العادة فهو لا يفتأ باحثا عن الحقيقة .. سألنى أن اقوم فى العراق بتحديد موقع حلة بنى قيلة ، وحلة دبيس وحلة بنى مزيد .. وعن تحديد البستان الذى الف فيه الحريرى مقاماته ؟ ! وعن ديرة العراق بما فيها ديرة الحيرة وديرة بغداد ، وقد طلب الى بصفة خاصة أن احاول الوقوف على « دير السوسى » الذى قال عنه معجم البلدان انه يوجد على مقربة من سامراء …

وبعد ان خرجت من مكتبه قضيت معه وقتا أطول فى حديقته بشارع الامم المتحدة جيئة وذهابا ، وكلما انتهى شوط ، امسك بيدى الاخرى يفرك اصابعـــى !

قال لى متواضعا عندما نوهت بنصيبه فى تشييد معاقل النضـــال المغربى : أى نضال هو ؟ ان النضال هو ما ينتظركم اليوم ، سأقول لك ما سمعته يوما من المرحوم محمد الخامس « لقد قال لى ان كفاح المغاربة كان فى الماضى أسهل بكثير منه فى الحاضر ، لانه كان آنئذ مركزا نحو خط نارى واحد ، اما اليوم فان خطوط الهجوم توافرت ، نحن أمام مخلفات تهدد مقوماتنا بما تجره من ويلات ومتاعب » !

وقد سمعت منه فى هذه الغداة عن آراء له حول **رسالة العلماء** ... وكان يتحدث فى نفس الصراحة التى عرفته بها منذ اليوم الاول .. ورحلت الى بغداد فكنت كل يوم أحدث نفسى بالكتابة اليه على ما وعدت ، لكنى ـــ وقد فوجئت بحادثة سيارته ـــ بعثت اليه برسالة لا ادرى هل قراها او لم يقرأها .. وبينما نحن نعزى النفس بنقاهته وابلاله ، اذ بالبرق ينعيه لنا فى يوم كان من أحلك الايام ، فى مدينة السلام .. !

وقد تأثر مشايخ العراق من فراق رفيق يجمعهم به رحم العلم ، فرجونى ان أرفع تعازيهم لامير المؤمنين وعلماء المسلمين .

وبعد ، فلقد اختفى أستاذنا المختار .. ! فهل نحن على ثقة من اننا سنكسب بعد اليوم « معسولا » آخر .. ؟ وهل سنكسب « ايليغا » آخر أو « الغيات » اخرى ؟ ارجو أن لا أكون متشائما أكثر من اللزوم اننا ، فى واقع الامر ، نفقد بهؤلاء معالم طريقنا نحو الحفاظ على تراثنا الرفيع ... نفقد بهؤلاء نوعا من المواطنين ظلوا ـــ بالرغم من تواضعهم وبالرغم من خفوت أصواتهم ـــ بروجا تدل التائهين على ما أضفاه المغرب عبر القرون من حضارة ونور .. ظلوا معالم تاريخية لبلادنا ، بهم تعرف ، وعن طريقهم تذكر ، وبواسطتهم تمجد ..

د . عبد الهادى التازى

المختار السوسي
وخلة الوطاءة

الأستاذ قدور الورطاسي

لقد أحسن اخونا المجاهد الاسلامي والوطني الاستاذ ابو بكر القادري صنعا حينما قرر اصدار عدد خاص من مجلته : « الايمان » لدراسة شخصية المغفور له : « رضا الله المختار السوسي » .

فصديقنا المختار السوسي رحمه الله يعد من اعلام الشريعة الاسلامية ، واقطاب الادب العربي في المغرب الاقصى . كما يعد — الى جانب ذلك — عنصرا اساسيا وأوليا من العناصر الذين فجروا طاقات الشعب المغربي ومواهبه وارسوا القواعد للنهضة « السلفية » أولا ، والانبعاث الوطني ثانيا .

اذ كان العنصر المهم في أول جمعية سلفية بفاس تاريخ سنة 1925م. وهو من طلبة العلم في القرويين ، ومثلا من أمثلة الفضيلة في مستواها المرموق من جميع الطبقات التي تعرفت عليه .

ولم يلبث ان لفت أنظار فقهاء الاستعمار وطواغيته بأنشطته السلفية الهادئة هدوء نسيم الخريف ، ووطنيته الرزينة التي كان يغلفها — باستمرار — بالاساليب الاسلامية المتنوعة .

بينما هو في حياته العادية يمثل العالم الوقور وقار الاسلاف العلماء الكرام ، بينما توجيهاته السلفية والوطنية تقتلع ركام الخمول والكسل من عالم الافكار والافئدة ، وتصقل المواهب والطاقات ، وتفتح لها

المجالات للاندفاع الى ساحات النضال الاسلامى ، والعربى ، والوطنى لتفتك الاسلام والعروبة والمسلمين من أسر الاستعمار وأنياره ؟

وبرغم ما وهبه الله من خلة الوطاءة ، ولين الجانب ، وضبط الاعصاب فى احرج المواقف ، فان « طواغيت الاستعمار ودهاقينة » شعروا بخطورة أنشطته الاسلامية والوطنية فأبعدوه عن حاضرة « فاس » سنة 1936 م . أعنى انهم اكتشفوا خطورة أنشطته بعد احد عشر عاما مرت على انشاء أول جمعية سلفية بفاس عام 1925 م تحت رئاسة زعيم التحرير الراحل : علال الفاسى الذى كان يبلغ من العمر اذ ذاك خمسة عشر عاما . وانتخب رئيسا للجمعية المشار اليها باجماع الاعضاء . وفيهم صديقنا المختار السوسى الذى رويت عنه ذلك مباشرة ازاء « وادى ايسلى » بوجدة . وانا معه فى انتظار الموكب الملكى الحسنى ، وعلال الفاسى بعيد عنا بعض الشىء ،، أى من حيث لا يسمعنا . فلقد قال لى : انظر الى هذا « الرجل » الذى هو الآن وزير الدولة المكلف بالشؤون الاسلامية . سنة 1961 » اننا انتخبناه رئيسا للجمعية وهو أصغرنا سنا لما كان يتحلى به من مواهب ومعارف باكرته فى العقد الاول من عمره .

نفى صديقنا المختار السوسى الى احدى قمم جبال سوس ، واستقبل هذا التشريد بصدر العالم السلفى الصادق الايمان ، وتلك خلة من خلل السلف الصالح من أعلام الاسلام ، شرقا وغربا رضى الله عنهم .

فهل ركن انطوائية سلبية ، وأخذت الغربة من عالميته ومشاعره ومسته فى عقيدته ؟ لا .. والف لا .

لقد استغل غربته اقصى استغلال ، فاخذ يبحث ويستقصى مجالات الحياة فى اقليمه : « سوس » ويسجل كل ما وصلت اليه اكتشافاته ، فكان « المعسول » و « سوس العالمة » و (خلال جزولة) ، وكانت القصائد المتنوعة « البحور » والقوافى ، والموضوعات ، والاهداف ، ولقد تجاوز حدود كهولته ومقتضياتها اذ أخذ يلئل مشاعره المتدفقة فكانت « غزلياته » المتدفقة بالحيوية والفتوة . و « ملكة جمالها » قصيدة « ايفران » التى بلغت الاوج من آيات الجمال واللطف .

على ان انشطته الثقافية المتنوعة تاريخا وادبا ، لم تمنعه من نشر معارفه ذات الاهداف المختلفة الالوان ، طورا بين العامة ، وطورا بين الطلبة ، وطورا في المناظرات مع الخاصة ، وبدون ان يغفل جانب الصراع مع « الرواسب » و « الطفيليات » مع مواطنيه والاستعمار .

فكان بذلك عالما من اعلام الاسلام ، وداعية من دعاة الاسلام ، ومقارعا من قروم المقارعين للاستعمار ، ومؤرخا ، واذبيا ، وشاعرا ، وناثرا ، ومناظرا ، ومساجلا ، الى « الرسائل الاخوانية » شعرا ونثرا ، من غير ان ينسى تعهد معارفه من جميع فئات قومه ؟ غير متكلف داعيا او مدعوا . فطابع تصرفاته : الفطرة ، والفطرة ليس الا .

وطـــاءتـــــه :

كان رضى الله عنه مغرما بالوطاءة ، واليسر ، والسهولة ، ورقة القلب ، ولين الطبع مجانبا لوسائل العنف في كل ممارساته .

1 ــ « حدث » اى تصدى احد « النقاد الخبراء » من هيـــأة تحريــر « العلم » لقصيدته « ايفران » فوضع القصيدة على (المشرحة) واخذ يفحصها فحص الناقد الفنى الخبير . ثم أخذ ينشر عنها مــا شاء له النقد الفنى . فضاق الشيخ رحمه الله ذرعا من ذلك النقد الذى كان ينصب كالسهام على القصيدة . مع انها « غانية » بديعة من بدائع غوانى القصائد . فما كان منه الا أن « عقد هدنة » مع الناقد الفنى العجيب ، فاستراحت نفسه المطبوعة على الوطاءة وحب الامن والسلام . وكان ذلك فى اواخر عهد الاستعمار ولمــا يزل « الناقد » على قيد الحياة متعنا الله بطول حياة صديقنا الحميم.

2 ــ « وحدث » أن وقفت الى جانبه قرب « وادى ايسلى » بوجدة فى انتظار الموكب الملكى الحسنى رعاه الله ، فحدثنى عن أول « جمعية سلفية بفاس » كما سلفت الاشارة اليها . فحررت « مقالا » عن ذلك ونشرته لى « العلم » . وسرعان ما فوجئت ــ اثر نشره ــ برسول منه وهو فى سيارته امام « وزارة الدولة المكلفة بالشؤون

الاسلامية » وكان صاحبها قد أعفى منها ، فطلب منى أن أصحبه الى مكتبه الخاص ، وكنت انتظر أن نقتعدا مقعدين للحديث فى شؤون متنوعة كعادته . ولكنه ــ كعادته أيضا ــ أخذ بيدى واخذنا جميعا نعبر ساحة المكتب ذهابا وجيئة . وهو يعاتبنى على نشر ما دار بينى وبينه قرب « وادى ايسلى » بوجدة . ففى الوقت الذى اكد لى فيه مرارا حبه العميق ووفاءه الصادق للراحل علال الفاسى كان يعاتبنى على نشر ما اشرت اليه مؤكدا لى انه يوثر السلامة وان « التعاليق » والحواشى تضايقه . حتى قال لى رحمه الله : « كان فى امكانك أن تؤدى تلك « الشهادة » على صفحات «العلم» ولكن بالاشارة فقط الى « المصدر » حتى لا تعرض « عشيرك » لمضاعفات هو فى غنى عنها من جهة ولا تلائم ما يوثره من الوطاءة والسلام . من جهة ثانية فاعتذرت له مع عدم الكرة مرة اخرى الى مثلهـــا .

وهذان مثالان فقط من الامثلة التى لا تحصى عن وطاءتــه التــى فطـــر عليهـــا .

الــى المنفــى مــرة أخــرى :

نعم ، ان طواغيت الاستعمار استهدفوه فى ظروف « ثورة الملك والشعب » ، فأخذوا يطوفونه من مكان الى آخر . وكـــان « اغبالـــوا نكردوس » اقليم « الرشيدية » ، آخر مطافه على شيخوخته . وهنالك التقى بطائفة من قادة الفكر والتحرير « فطاب » له المقام الى أن تحرر منه عند بداية انهيار الاستعمار .

وانى اتصور ان الاستاذ الكبير ، والمجاهد الشهير محمد الفاسى قد يكون سجل ذكرياته وخصوصا فى « اغبالوا » حيث صديقنا كان يرافقه هنالك . أو انه ــ على الاقل ــ لما يزل يحتفظ بالجلسات والمناظرات التى كانت تجرى هنالك ، فيحررها لنا لنتملى تلك الاحاديث العلميـــة والادبيـــة المتعـــة .

فى آخر لحظات معه :

اصيب رحمه الله فى حادثة سير بين مراكش ، والبيضاء ، فحمل الى مستشفى ابن سينا ولم يصلنى الخبر الا بعد أيام . فتوجهت لعيادته، فما ان رءانى حتى صاح : مرحبا بعشيرى .. مرحبا بعشيرى . لقد ابطأت على كثيرا .. كيف حالك ؟ ثم التفت الى رفقائه السوسيين قائلا : الى غرفة أخرى ، لقد جاء « عشيرى » أهلا وسهلا بك .. كيف . وماذا وقع لك حتى تأخرت عن عيادة « عشيرك » ؟ فصدقنى طبعا فيما قدمت لـــه من مبررات .. والعجيب انه كان أثناء هذا اللقاء يتحدث معى باللهجـــة السوسية التى كنت حذقت منها ما ساعدنى على فهم ما قال . ذلك اننى لما كنت مبعدا بقرار من ادارة الامن والداخلية الى سوس كنت اتمرن على تلك اللهجة التى تلتقى كثيرا مع لهجتى اليزناسية .

وبعد ذلك بأيام قلائل كنت فى محطة الوقود بأكدال « محطة اكدال » قبالة الحى الجامعى اذ نعاه الى الاخ المناضل الاستاذ محمد بوستـــة وزير الخارجية الآن ، وكان ذلك فى مساء « يوم الاحد » ولا أذكر الآن بالضبط التاريخين الهجرى والميلادى . وفى ذكراه الاربعينية شاركت بقصيدة نشرتها فى ديوانى : « الحدائق » التى منها :

يا عمدة السلف المجيـــد مغفـــرة	وليهنك الفخر فخر غيـــر منسلب
آمنت بالعلـــم فاقتطفت اخلـــده	وكنـــت فيـــه ضليعا لامـــع اللقب
والفخر تلمع فى تاجيـــن انجمـــه	تاج من العلم ، أو تاج من الغلب
فعشت فى ظل علم كنت رائـــده	وظل « ملكين » ما أغلاها من رتب

والمقصود « بملكين » انه عاش وزيرا فى عهدى صاحبى الجلالة محمد الخامس رضى الله عنه والحسن الثانى أيده الله ونصره .

فرحم الله العلامة السيد المختار السوسى ورضى عنه ، آمين .

شخصية عالمة
متحلية بالأخلاق والاستقامة

الأستاذ محمد الحلو

الحديث عن شخصية الشيخ محمد المختار السوسى رحمه الله جوانب عدة تتميز بكل مميزات الفضل التى تحلت بها الشخصيات العلمية والمتصوفة فى مختلف العهود التى عرفت رجالات عارفة ودراكة لحقيقة الوجـود ، ولـدور الانسان العارف فى هذه الحياة تجاه فئات من العباد التى تحتاج فى كل عصر الى مرشدين وواعظين بل الى معلمين اكفـاء ناصحين .

محمد المختار الوطنى الغيور والسلفى الوقور :

سمعت عنه أول ما سمعت فى الاربعينات أيام كان عرضة لاضطهاد باشا مراكش حينذاك ــ التهامى الكلاوى الذى سامه محنة وأشبعـه نكالا وطوح به لالغ فى اقاصى سوس ، وهى مسقط راس شيخنا ، بعد أن استقر فى مراكش سنين متوالية قام اثناءها بمهمة التدريس وانشاء مؤسسات للتعليم الحر كمدرسة الحياة وغيرها . وقد كانت هذه الفترة فترة جهاد قاسية بالنسبة لكل الوطنيين ممن وهبوا أنفسهم لخدمة قضية التعليم المقدسة صونا للغة القومية ــ لغة القرآن ــ ولتقاليد الوطـن المطبوعة بطابع اللغة تربية وسلوكا .

ولم ينقطع رحمه الله عن الدعوة ونشر العلم سواء فى الغ أو فى مراكش بعد عودته اليها من منفاه أو فى الدار البيضاء التى عرفت فيـه الشخصية الدينية الواعظة المرشدة ، الآمرة بالمعروف الناهية عن كل

منكـــر . ثم اعتقلته السلطات الاستعمارية الفرنسية فى الدار البيضاء يوم 10 دسمبر من سنة 1952 خلال حملة مسعورة لرجال الحماية الذين ضاقوا ذرعا بكل عنصر وطنى فى البلاد او داعية الى التحرير من ربقة العبودية ونظام الاسترقاق الذى يأباه الاسلام كيف وهو الدين الرافض لكل مظهر للكفر بأنواعه يسود او يشيع فى دار اسلام بيد انه هو المطهر لاى بقعة لا يعبد فيها الله وحده باستثناء من يقرهم على عباداتهم مقابل جزية فى صغار وفى نطاق الذمة المعلومة بشروطها .

وفى منفانا باغبالو — تكردوس — بصحراء المغرب الشمالية ، تعرفت معرفة حقيقية على استاذى وشيخى الذى امضى قبل الالتحاق باخوانه فى هذه البقعة الطيبة من وطننا الحبيب ، زهاء سنة وحيدا فى قلعة تينجدات الصحراوية كذلك ..

واذا حاولت فى هذا الحديث الالمام بما شاهدته منه اكرم الله مثواه فقد يقف القلم حائرا لا من حيث الوصف ترتيبا فقط ، بل من حيث عمق التجانس الروحى الذى لا استطيع تحليل او تحديد مدى شمولية الفائدة التى عمت نفوس ثلة من المومنين تآلفت وائتلفت فكونت مع الاستاذ المختار حلقة موحدة الصدف ناصعة العقد اعطت من النتائج العلمية رطبا جنيا على مدى الحقبة التى تلت فترة الابعاد الى أن فرق الموت بيننا وبين هذا العالم الذى نفع أكثر مما انتفع واعطى أجل العطاء وأجمله .

قبل ذلك كنت اعلم عنه أنه من خريجى القرويين العامرة ، مرتبط بصداقة تعددت بتعدد الفقهاء الذين رافقوه فى أطوار الدراسة ، او بعلماء من هم فى مستواه العلمى ، او بمريديه من تلامذته أو ممن تشبعوا بفيض معرفته فى مجال الوعظ والارشاد ، أو بوطنيين ساندوه وساندهم ايـام الامتحان والبلوى فصدقوه وصدقهم فعزوا بعد أن تتوج جهادهم بالنصر والتمكيـــن .

لكنى علمت ايضا من خلال الشدة التى عانيناها ، قوة عزم هـــذا الشيخ الوقور والمومن الصدوق ، وعلمت منه أيضا مبلغ علمه الواسع المتدفق ، ولمست فيه طيبة النفس وكرم العطاء ، وشاهدت منه خوف

الله ومراقبته في التعبير والعمل ، وقدرت فيه حكمة السدد في حل المشاكل، وعجبت من حسن سلوكه معاملة لمن دونه علما أو اصغر منه سنا أو نحو خالفه اتجاها ومنهجا .

كان رحمه الله صاحيا ملازما للمحراب ، صواما قواما ذاكرا تاليا ، مواظبا على البحث في غير قناعة بما أستجمعته ذاكرته ، لم اره مضيعا وقتا دون أن يضيف اليها شحذا لخلاياها من حيث التعرف على طباع من حوله ونوعية تفكيرهم جمعا لعناصر الترجمة التي خطها لكل منهم بعد العودة الى حياة الحرية الجماعية .

كان صباحه ــ رحمه الله ــ صباح الصالحين ومساؤه مســاء الصالحين ، فبعد صلاة الصبح والتلاوة والذكر وتناول وجبة الافطار ،يشرع في تدريس مادة من مواد اللغة العربية بحسب البرنامج الذي حضر آنذاك وطبق في جل نقطه ، فكان يملي الشعر ويشرحه ، وله ديوان شعر نشر بعضه ولم ينشر لحد الآن جله ، كما كان يلقن قصائد جميلة وبليغة لشعراء جاهليين ومخضرمين ومحدثين ، في اداء فصيح مرتب من حفيظته اليانعة بأزهار عطرة من مختلف فنون الادب العربي القديم والمتطور والمتأثر بأحداث عهود الحكم العربي الاسلامي لمختلف الامصار الاسلامية بعد الفتح ، كما ان تدريسه لعلوم المنطق والبلاغة والبيان والبديع والنحو والتفسيــر والتاريخ الاسلامي ودرسه القيم في شرح الحديث الشريف ، كل هذا اكبر من قيمته كشخصية علمية مشاركة احتلت أبرز مكان في عالم فنونه ، غير انه يشع عليه عالم السياسة وحده من شعاعه البراق مثل ما شع على شخصيات علمية غيره ممن ولجوا بحارها في ازدواجية للشخصية وللدور الذي قامت به عن اعتقاد او الدور المزدوج الاساس الذي قام عليه الاسلام كدين ودولة . لكن شيخنا رحمه الله لم يكن مقتنعا من حيث المفهــوم العصري للموضوع ، فكان معتزلا للسياسة كمفهوم مبتذل او كنشــاط يمارس لغايته انتظار المردود شخصي نفعي كما هو عند غيره من بعض من يدعون بالعلماء عفا الله عن الجميع . وكان شيخنا يعبر بصراحته المألوفة عما تكنه نفسه تجاه المغريات الدنيوية من مال او سلطة او جاه. قال لي مرة ، ونحن في معتقل اغبالــو تكردوس ، اسمع مني يا أخي :

انى لو كنت أعمل فى النطاق السياسى لكانت نظرتى للاشياء كلها على غير ما أرى وما تراه منى ، واذا كنت معكم هنا ، فمرجع ذلك لمفهوم الحماة المتسلطين واعوانهم المارقين الذين يخلطون بين مفهوم كل دعوة فى خضم مفاهيم الدعوات الاصلاحية ، وهو فى نظرهم مفهوم واحد يفسرونه بالتحريض على طردهم من الارض التى يحتلونها . ويضيف لقوله رحمه الله : انا لا افهم السياسة ولا مكنوناتها ، واخاف من التورط فيما لا افهم كنهه ومقاصده . وانى هنا بشخصيتى الدينية الصرفة ، مضطهد ومبعد لاجل حبى لوطنى وما اضمره من خير عميم لمواطنى ، وهى المهمة التى رابط وجاهد فى اطارها السلف الصالح منذ عهد النور والهدى النبوى الساطع شرعة ومنهاجا فى الدعوة الى الله واعلاء كلمته والتحرر من كل ما يقف فى طريق هذه العقيدة الراسخة .

هكذا كان يعتقد استاذى وشيخى محمد المختار فسح الله له ما يرضاه من نعيم جناته . واذا كانت هى هذه عقيدته الوطنية ، فعقيدته الدينية لم تكن قصيرة النظر متحجرة متجمدة ضيقة الافق ، بل نظرته كانت واسعة ، كان يعبد الله كانه يراه ، وهذه درجة الاحسان ، أعلى درجة الايمان واليقين ، ومن هو فى مثل مرتبته لا يتخوف من اجتهاد فى نطاق الكتاب والسنة وما تلتها من اجتهادات لكبار الفقهاء ائمة المذاهب واتباعهم، قياسا أو اقتباسا . وعلى هذا النحو ، كان رحمه الله يصدر بعض الفتاوى الميسرة لبعض ما يصعب من احكام او فروض تشعبت بعض صورها فى نطاق : الدين يسر ، وقول الله العلى الحكيم : « يا ايها الناس لا تغلوا فى دينكم غير الحق » . وقوله جل من قائل : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وايضا من مفهوم الحديث الشريف : « ما شاد أحد منكم هذا الدين الا غلبه » الى آخر الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التى تحذر من التعصب والجمود والتشدد والنفور ...

كانت نظرته للصوفية كمنهج للسلوك الدينى كدحا للقاء الله ، نظرة معقولة سديدة ، فلا هو بالمنكر حق ولا يتولى كعابد او مجاهد فى سبيل الله ، ولا هو بمساير عقلية السخف والجهل بحقائق الامور ملتمسا عذر

الجاهلين او تحايل الدجالين ممن ياخذون بظواهر الدين فى تشائب مدنسة بالشرك وفى صور متعددة لعبادة البشر الاحياء منهم والاموات على السواء! كان يذكر عددا من أسماء أولياء الله فى تنويه وتمجيد بجهادهم وفتوحاتهم وهديهم وارشادهم للناس كافة ، وقد ضمن تآليفه الشهير : المعسول الذى أصدره فى عشرين مجلدا عددا من الاقطاب ، الذين قدموا للمغرب وللاسلام بصفة عامة ، خدمات خلدت أسماءهم فى سجل الصالحين .

محمد المختـــار الصديـــق الوفى :

ومن نعم نقمة الابعاد أنها كشفت عن أسرار نفسانية لبعض الاخوة الذين انصهرت نفوسهم فى محنة مشتركة ، فلم تتآلف او تتألف كما اقتضى الظرف ذاته ، ولكن طيبتها حببت لهذه النفوس الطيبة اكتساب مقومـــات الصداقة التى يغمر مفهومها الصحيح مفهوم الاخوة الروحيـــة او مودة التوامين ، لكونها ، أى الصداقة ، مشتقة من الصدق ، والصدق مـــن اوجه الوفاء للمتحدث اليه او للمتعامل معه . وعلى هذا المنوال تم نسج آصرة الصداقة التى تولدت هناك عن تعارف مباشر بينى وبين اخى فى الله وصديقى فى الغربة ، وشيخى فى العطاء العلمى الفياض مما أغنـــى معلوماتى المتواضعة فى كل مادة كنت ، بحق ، فى حاجة ما لتوسيع أفق معرفتى فى بحرها ، او تدارسها من أساسها الى متمماتها .

وشاء القدر ان يغادر هذا الصديق الوفى معتقلنا قبل أن اتحرر منه بنحو سنة ، كان خلالها دائم الزيارة لاطفالى الصغار ومواساتهم بأحاديث تتفاوت جدية وهزلا بحسب مستويات أعمارهم ، كما كان حريصا على تلقى أخبارى مراسلة او فى نطاق زيارات الاقرباء . وكان هذا سلوكه مع ثلة من اصدقائه السابق منهم لاكتساب مودته واللاحق بساحة فضله وخبـــرتـــه .

وبعد عودتى ازدادت هذه الآصرة متانة ورسوخا ، اذ كان يهمه جدا تفقد احوال أصدقائه الاوفياء سواء فى بيوتهم او فى مراكز اشغالهم مما مكن حبه وتقديره فى نفوسهم واهله لان يصبح فى نظرهم الاب الروحى الحنون والقدوة فى دنيا التعاطف والتلاحم .

محمد المختار الوزير المتواضع :

وبعد اعلان الاستقلال ، اختاره جلالة الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه وزيرا للاوقاف لما علم عنه من صدق ونزاهة وفضل وخوف من مقام ربه ، فكان فى وظيفته مثالا رائعا لاعمال الصيانة والتنمية والحفاظ على مقومات هذه المهمة الدينية وتوجيه المسؤولين المحليين عنها لما فيه خير المؤسسة والمستفيدين منها من افراد الشعب المغربى المسلم الذى يقدر — على مدى الاحتاب — للمحبسين فضلهم وكرمهم وايثارهم الصالح العام على النفع الخاص .

ولم يكن الشيخ المختار السوسى وزيرا فى بيته ولا بين أصدقائه واخوانه ولا فى مجالسه العلمية حيثما انعقد هذا المجلس ، فكم من مرة غادر مكتبه فى الوزارة — بعد انتهاء العمل — للقيام بزيارة جريدة «العلم» المكافحة حيث كنت مسؤولا عن تحريرها وعن ادارة مطبعتها ، دون موعد سابق ، وكذلك فى بيتى وبيوت أصدقائه دون مراعاة لساعة متقدمة أو متأخـرة ...

كانت أحاديثه تدور فيما بيننا وبينه حول ما صدر من كتب أو مـا نشر عن الاسلام وعن اخبار الاسلام والمسلمين ، وكذا السؤال عن أصدقاء المعتقل ومآل احوالهم ، وعن الاولاد ودراساتهم ومستقبلهم وهلم جرا ، وقليل من الكلام عن وزارته وعمله او عن الوزارات الاخرى أو اخبار الحكومة وما الى ذلك من شؤون السياسة التى كان يسكت فيما اذا تحول الحديث فى بعض الاحيان الى آفاقها .

وكم كان يعجبه الحديث عن الائمة واقطاب الفكر الاسلامى ومشاهير المفسرين ، فكان نقده لا يتعدى بحث وجهة نظر منحرفة عن السنة ضمن اجتهاد خاطره ، أو بدعة منكرة او تعصب أعمى أو ما شابه ذلك .

اما حياته فكانت على جانب كبير من البساطة والزهد ، ومظهر من التقشف الطبيعى اللازم فى الحياة الاقتصادية للمسؤولين عن مصالـح الامة وفى أى قطاع من قطاعاتها العامة . كان بيته من أوسط بيوت المجتمع المغربى ، وكان هندامه يوحى دائما بالوقار الذى طبع جمـال خلقـه وتصرفاته ومحافظته على بيئته التى كان يعتز بها اعتزازه بكل تقاليد وطنه الصميمة . ولم يكلف نفسه قط عند استقبال ضيوف من اخوانه وأصدقائه

واقربائه عناء فى تحضير ماكل او مفرش ، فالحاضر منهما هو المتناول والمستعمل والمقبول أيضا من قبلهم جميعا اذ لا يهمهم سوى الاستئناس بالفقيه حديثا عامرا او فكاهة أدبية مستملحة واقعية او مطالعة تتبعها مناقشة تحليلية .

ولقد كانت كتاباته كلها معبرة ، لا يخلو صنف منها من جديد يبرز من خلال أسلوبه العلمى او الفقهى او مزيج منهما حين يستشهد بالنصوص الواردة والموثوقة كلاما الاهيا أو حديثا من ثقاة اجمع الكل على صحته .

مـؤلفـاتـه وكتـابـاتـه :

والاستاذ محمد المختار لـم يكتب عن السياسة كما فهم البعض من خلال ما دونه عن فترات الكفاح الوطنى ، ولكنه تحدث عن تاريخ وطنه وعن بعض الانحرافات فى عهد الحماية ، وتحدث عن عهد الاستقلال ضمن قصائد نشرتها له مجلة دعوة الحق ، واخرى لم تنشر ، تبين من معانيها شدة حبه لبلاده .

ومن مؤلفاته « الغ وما اليها » مطبوع حققه الاستاذ محمد الروداني صديقه الحميم ، وهو فى ثلاثة مجلدات ، وكتابه الشهير « المعسول » وهو مطبوع فى عشرين مجلدا يعتبر من اعظم المراجع للباحثين فى تاريخ المغرب وفى الادب المغربى قديما وحديثا وكذلك يعتبر موسوعة هامة للحياة الاجتماعية فى بلادنا يتمم ما سبق او دونه فى الموضوع مؤرخون مغاربة معترف بفضلهم كالاستاذ محمد داوود والاستاذ عباس التعارجى وغيرهما ....

نتف من شعر الاستاذ الشاعر :

الحقيقة انى لم آت سوى بقليل القليل مما يجب ان يذكر فى حق شيخنا المحترم واستاذنا الجليل محمد المختار السوسى اسكنه الله فسيح الجنان ، وما قدمته بكل تواضع ، هو فقط اشارات خفيفة جدا ، فقد كان يلزم كتابة بحث طويل استشهد فيه بكثير من كتاباته وأقواله الحكيمة ، وهذا يستلزم طبعا مراجعة انتاجه مما هو معروف وغير معروف ، منشور او ينتظر النشر . فقد القى رحمه الله قصيدة من اروع قصائده امام مجموعة من الاخوة التحقوا بنا فى مركز منفانا بأغبالو — تكردوس — خلال شهر يناير من سنة 1954 ، وكانوا موزعين من قبل — ومنذ سنة 1952 —

على مراكز وواحات من الصحراء الشمالية والجنوبية . وهى منشورة فى مجلة « دعوة الحق » لم استطع ــ للاسف ــ العثور على العدد الذى تضمنها . ولم أذكر منها سوى صدر البيت الاول :

امعتقــل يــا قوم أم جنة الخلد .. (معتذرا عن اتمام البيت) .

ولدى قصيدة اخرى جادت بها قريحتــه فى مركــز منفــاه الاول ــ تينجدات ، قــال فيهــا :

تلك البدايــة متــى النهــايــة ان النهــايــة تلــى البــدايــة
اليك ربــى وحــدك الشكايــة الم نكــن فيك لــى الكفايــة ؟
مــولاى انــت يالهــا ولايــة عنــايــة مــا مثلهــا عنــايــة
اونس منهــا كــل حــين آيــة تنشــر بالرحمــن علــى رايــة

وقصيدة أخرى قالها فى تينجدات كذلك ليلة القدر من سنة 1372 هـ منهــا :

احييتها ام شخرت بين من ناموا حتــى الجلا وزوا قــد قاموا
ليلــة القــدر تكراها فيــاعجبا اتزهد اليوم فيمــا كنت شتام ؟
اما عزمت علــى احيائها فمتــى عددت أم عزمات البعض أحلام ؟
لله درك ممــن اسرعــوا قدمــا قامــوا جميــع لياليه كما صاموا
صاموا احتسابا كماقاموا كذاك ومن يرجو الجــزاء فصــوام وقــوام

الــى ان يقــول :

فمــا كذاك قلوب المومنــين اذا مــا كان فى القلب ايمان واسلام
من لم يكن الف شهر يستفز بــه اجــرا فايمانــه بالاجــر اوهــام

جدد الله رحماته الواسعة على اخينا وشيخنا واستاذنا وصديقنا محمد المختار السوسى ذلك التقى الورع الذى فقده المغرب كأحد رجالاته الاعلام الافذاذ . وانا لله وانا اليه راجعون .

الدار البيضاء ــ محمد الحلو

المختار السّوسي

أحد رواد النهضة في الحركة السلفية بالمغرب

الأستاذ أحمد بودهان

تمهيد :

« النهضة » و « الاصلاح » هما الكلمتان المتداولتان والمستعملتان بكثرة ، للتعبير عن مظاهر الانبعاث الوطني والفكري والديني والاجتماعي، بالنسبة لتاريخ العرب الحديث . وخاصة في بداية القرن العشرين . ذلك ان مداول المصطلحين المشار اليهما ، اوفق بكثير لحالة الامة العربية ، بعد نكستها ، وخلال يقظتها ، حيث ان كلمة « نهضة » حسب معناها المتعارف عليه حقيقة ومجازا ، تقتضي سقوطا او خمولا سابقا ، كما ان كلمة « اصلاح » التي يدل لفظها على معناها بوضوح ، هي أيضا تقتضي افسادا سابقا . وكل من هاتين الحالتين .. حالتي الخمول والافساد، قد أصيبت بهما الامة العربية والاسلامية سابقا ، خلال عصور الانحطاط ، نتيجة لاسباب معروفة عند الباحثين والمفكرين والسلفيين الاصلاحيين ، دينيا وسياسيا ووطنيا وفكريا واجتماعيا وحضاريا . ومن اهم اسباب ذلك الانحطاط : عدم القدرة على الاستمرار في ضبط امور الخلافة الاسلامية الشاسعة الاطراف مما أدى الى التفرقة والتقسيم ، ثم ضعف الوازع الديني والوحدوي ، وكذلك التهافت على المصالح الفردية وايثارها على المصالح العامة التي تخدم امور المسلمين ، بالاضافة الى توقف عطاءات البحث العلمي بجمود الفكر العربي في مختلف ميادين العلوم والعرفان حتى حل التقليد محل التطور والتجديد والاجتهاد ، وهو الشيء الذي مهد للغزو المغولي والتتري ، قبل الوجود التركي والحروب الصليبية ، والغزو الاستعماري الاوربي ، الذي مارس — بعد سياسة التتريك — سياسة التجهيل والتفقير وتعميق التخلف على حد تعبير ادباء العصر وزعماء النهضة ، فأدى كل هذا الى افساد ما كان قد تبقى من مقومات الامة الاسلامية دينيا وحضاريا وفكريا وسياسيا واجتماعيا ، الا القليل ...

ولما بلغ السيل زباه بدخول الاستعمار الاوربي ، ورأى العرب ما

لدى هذا المستعمر الدخيل ، من امكانات علمية واقتصادية ، بالمقارنة الى ما هم فيه من خمول وجمود وتأخر وفساد ـ حاولوا أن تداركوا الموقف ، وان يستيقظوا من سباتهم العميق ، من أجل اصلاح شأنهم ، فكان ما اصطلح عليه حاليا بـ « النهضة » التى تؤدى معنى اليقظة والانتباه وترك الخمول والجمود ، قصد الالتحاق بركب الحضارة ، ونزع ستار الجهل والتخلف كمرحلة فكرية أولى تتجلى فى اعمال الفكر والنظر . ثم كان ما اصطلح عليه بـ « الاصلاح » كمرحلة عملية من اجل القضاء على ما لحق الامة العربية والاسلامية من الخراب والدمار والفساد دينيا ووطنيا واجتماعيا فظهر ما يسمى بحركة الانبعاث والنهضة والاصلاح والمقاومة ضد كل فساد ، ولمناهضة الاستعمار على يد الرعيل الاول من رواد الحركة السلفية الدينية والسياسية والاجتماعية ..

ورواد النهضة ، وزعماء الاصلاح ، الذين حملوا مشعل الفكر فى بداية هذا القرن معروفون سواء فى المشرق او فى المغرب ، كما ان اتجاهاتهم فى طريقة النهوض والاصلاح ، اتخذت عدة جوانب تختلف ـ من حيث الشكل لا من حيث الهدف والجوهر باختلاف نوع الظروف المكونة لكل منهم ، ونوع التكوين الجذرى فى شخصياتهم وسلوكهم : فهناك من اختار الاصلاح من الناحية الدينية كالافغانى وعبده فى المشرق ، وهناك من اختار الاصلاح من الناحية السياسية كالكواكبى ، وهناك من اختار الاصلاح من الناحية الاجتماعية كقاسم امين وهناك من جمع الكثير من الاتجاهات الاصلاحية فى عمله ونضاله سياسيا ودينيا واجتماعيا كابن باديس وعلال الفاسى وهناك من اختار الاصلاح من الناحية الثقافية والحضارية والتاريخية والقومية كأرسلان والمختار السوسى ، وهناك من اختار الاصلاح من الناحية الادبية والابداعية والتطويرية شكلا ومضمونا كأصحاب السلفية الادبية المتطورة والتجديدية كشوقى وحافظ والمنفلوطى وكنون والحلوى وبن جلون ، وهناك من اختار الاصلاح عن طريق الابتكار المحض ، مع العلم ان الهدف عند كل هؤلاء هو هدف واحد ، اى الخروج من ربقة المستعمر ، ونزع ستار الجهل والجمود والتخلف سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا ..

والذى يهمنا من بين هؤلاء الرواد المصلحين ، منذ بداية القرن العشرين الى بداية الستينات هو الرائد والمفكر والعالم والباحث والمؤرخ والسلفى والوطنى الغيور ، الاستاذ المرحوم السيد محمد المختار السوسى ، الذى نجده دائما مصنفا فى كتب الادب الحديثة ، وكتب تاريخ الحركة الوطنية المغربية ، مع رواد النهضة والاصلاح .. ترى ؟

— من هو المختار السوسي ؟ وما آثاره ؟

— وما هي الظروف والمؤثرات التي كونت شخصيته ؟

— وأين تتجلى اتجاهاته الاصلاحية ؟

— وما رأى النقاد والباحثين تجاه آرائه ومؤلفاته واتجاهاته الاصلاحية والسلفية ؟

— وأخيرا ، كيف نضع تقييما موضوعيا ونزيها وجريئا لشخصية السوسي من خلال آثاره ومواقفه ؟

اجل . انه من خلال هذه الاسئلة الخمس التي طرحناها كخطوط عريضة لهذا البحث المتواضع — يمكن لنا أن نسلط بعض الاضواء الكاشفة عن شخصية السوسي ، كدراسة وتحليل ، ونقد وتقييم ، دون مبالغة او مغالاة في المدح أو القدح اعتباطا ، الا ما كان في حدود النقد والتنظير بكل نزاهة وموضوعية وأمانة فنقول :

اولا — مولد السوسي ونشأته ودراسته ومؤلفاته حتى وفاته باختصار :

ولد « محمد بن المختار بن علي السوسي سنة 1903 م ، وفي بعض المصادر الاخرى سنة 1889 م .. وذلك ببلدة « الغ » بناحية تازروالت احدى بوادي اقليم سوس بجنوب المغرب .

وفي هذا الصدد يحدثنا السوسي نفسه عن مسقط راسه هذا فيقول في كتابه « سوس العالمة » الذي ألفه ضمن « الفياته » خلال منفاه ما نصه : « فقد سودت في « الغ » مسقط راسي ، حيث الزمت العزلة عن الناس ، اجزاء كثيرة تناهز خمسين جزءا ، في العلماء والادباء والرؤساء والاخبار والنوادر والهيئة الاجتماعية .. » . والشاهد عندي في النص قوله : « الغ مسقط راسي .. » ، حيث ولد ونشأ نشأته الاولى في أسرة دينية عريقة في المجد والعلم والزهد والورع والتقوى والتصوف، مما جعله يتلقى تربية دينية سلفية مثالية في السلوك القويم ، تعتمد الجانب الروحي اكثر من الجانب المادي ، وخاصة وان بيت أسرته كان زاوية للطريقة الدرقاوية المعروفة ، ومن هنا ترعرع السوسي معتزا بدينه ولغته ، وامجاد بلاده السلفيين ، متأثرا فيما بعد بالحركات السلفية التقليدية والمتجددة ، الهادفة الى احياء التراث بالرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح قصد المحافظة على مقومات الشخصية الاسلامية الصحيحة، وتنقيتها من الشوائب والاسراف والغلو في الماديات الجاحدة ..

وفى هذا المسار التربوى الدينى الجذرى عكف على الدراسة والتحصيل، فتلقى تعليمه الاول على يد امه التى كانت تعتبر من ابرز مثقفات عصرها بسوس ، وخصوصا وان اباه توفى وعمره عشر سنوات ، ثم اخذ ينهل علوم عصره عن علماء بلدته بمدرسة تانكرت بايفران ، الى ان انتقل الى كلية ابن يوسف الدينية بمراكش ، ومنها الى جامع القرويين بفاس التى قال عنها : « وفى فاس استبدلت فكرا بفكر ، فتكون لدى مبدأ عصرى على آخر طراز ، قد ارتكز على الدين والعلم والسنة القويمة ...» وخلال تنقلات السوسى فى طلب العلم بين أصقاع سوس ، ومراكش وفاس ، حالفه الحظ فى اللقاء ببعض الشخصيات الدينية والسلفية الهامة ، فاتصل بالشيخ ابى شعيب الدكالى سنة 1923 م بمراكش والشيخ محمد بن العربى العلوى ، والكتانى وغيرهم ...

وفى فاس حيث تمكن من الاغتراف من معين علوم عصره ، بدأت معالم النبوغ تظهر مبكرا فى طموحاته وجديته ، حتى صار مثالا يحتذى فى الاوساط الطلابية ، سواء فى الميدان الفكرى والثقافى والعلمى ، أو فى الميدان السياسى والوطنى . وفى هذا المعنى يقول : « وفى فاس ايضا جشت بقصائد حية ، فتمخضت الحركة الوطنية المرتكزة على الدين والاخلاق السامية » — مجلة الثقافة الجديدة عدد 22 — وهكذا ، فرغم العلوم التقليدية المتعارف عليها آنذاك بفاس ، والتى كانت لا تتعدى علوم الدين عموما ، من تفسير وحديث وفقه واصول ولغة وادب .. الخ — فانه قد استطاع بالاضافة الى ذلك ان يكتسب خبرة ودراية وتجربة ومهارة فى حقل البحث والتدقيق والتمحيص ، حتى أصبح اخيرا علامة وبحاثة يعطى وينتج ويثرى الفكر المغربى فى شتى الميادين الدينية منها والوطنية والتاريخية ، بدلا من أن يكون مجرد خزان فى حشو المعلومات وازدرادها كمستهلك على غرار ما يفعله الكثيرون من ذوى الشهادات العالمية ، الشىء الذى جعله يتعرض لنقمة الاستعمار مرارا . وخاصة عندما ساهم رحمه الله فى العديد من الجمعيات الثقافية ، حيث انضم الى زمرة الاساتذة الذين كانوا يدرسون فى المدارس الحرة بفاس ومراكش . وعندما تولى الاشراف على « الجمعية الخيرية » التابعة للشؤون الاجتماعية ، اتهمه الفرنسيون بالتدخل واثارة حماس الشباب ، فنفى سنة 1936 الى «الغ» بعد ان كان استاذا بكلية ابن يوسف بمراكش منذ 1929 م .

وفى منفاه بـ « الغ » مسقط رأسه كما أشرنا من قبل ، ألف السوسى مؤلفاته التى تناهز الخمسين ، كما قال فى النص المشار اليه سابقا ، الا

ان معظم تلك التآليف لم ينشر منها لحد الآن سوى :

— سوس العالمة : حيث أرخ لعلماء سوس ، والحركة العلمية عموما بهذا الاقليم ...

— المعسول : وهو عبارة عن موسوعة ضخمة فى عشرين جزءا ، تناول فيها تراجم معظم شخصيات سوس ...

— خلال جزولة : وهو عبارة عن رحلاته وتنقلاته عبر بوادى سوس، فى أربعة أجزاء ...

— الالغيات : عبارة عن مذكرات خلال منفاه ، ارخ فيه — وهو بالغ منفيا — تاريخ سوس ...

— ايلغ قديما وحديثا : ويقول عنه الباحثون انه محاولة هامة لكتابة تاريخ سوس السياسى فى القرن 17 م ...

وهذا بالاضافة الى روايته التى نشرت مجلة « دعوة الحق » جزءا منها تحت عنوان : « بين الجمود والجحود » ... وما الفه من كتب اخرى لم تنشر بعد فى ميدان الدين والادب وفن المقالة ...

وبهذا يكون السوسى قد حدد اتجاهاته المتعددة الجوانب فى كتابة المقالة والتاريخ والادب والترجمات والرحلات والمذكرات ، زيادة عما كتبه فى الميدان الدينى ، وما له علاقة مباشرة بالجانب النضالى السياسى الوطنى الذى يمكن القول بأن كل ما الفه كان تحديا للاستعمار كما سنرى فيما بعد . كما تجدر الاشارة هنا الى ان اتجاهه فى الكتابة التاريخية تكاد تهيمن على كل الاتجاهات الكتابية الاخرى ...

وفى غضون سنة 1948 ادى السوسى رحمه الله فريضة الحج ضمن الوفد المغربى الرسمى ، وعندما تأسست اول حكومة مغربية فى بداية استقلال سنة 1956 عين محمد المختار السوسى وزيرا للاوقاف ، ثم عين بعد ذلك وزيرا للتاج الى أن توفى سنة 1963 بعد سنوات مديدة قضاها مجاهدا بفكره وقلمه ، ونضاله كمصلح وكوطنى غيور على دينه وقومه . « وما المرء الا ذكره ومآثره » ...

ثانيا — أثر الظروف العامة فى تكوين شخصية السوسى :

بعد ان لمحنا بايجاز فى النقطة الاولى أعلاه ، الى مولد السوسى ونشأته ودراسته ومؤلفاته حتى وفاته كعلامة وبحاثة ومناضل ومصلح

ـ ننتقل الى الكلام على النقطة الثانية المبرمجة فى هذا العرض ، والخاصة بالظروف التى واكبت حياة السوسى ، ورافقت نشأته ودراسته وشبابه ، والتى كان لها ـ بلا شك ـ الدور الاكبر فى تكوين شخصيته التى عرف بها فى مجالات مختلفة ، وفى جوانب متعددة دينيا ووطنيا وعلميا وفكريا واجتماعيا وتاريخيا . ما دام ان الانسان ابن بيئته ووليد ظروفها كما يقولون ...

وفى محاولة منا لتحديد اهم هذه المؤثرات التى صنعت شخصية السوسى ، فعكست مجهوده يمكن لنا أن نجمل ذلك كما يلى ، وفى حوالى خمسة أمور :

أ ـ المؤثر التربوى الدينى الاساسى الاول :

عرفنا ان السوسى نشأ وترعرع وعاش طفولته الاولى فى احضان اسرة دينية محافظة ، لها اتجاه سلوكى روحى معروف ، فى ميدان الثبات والصمود والتمسك بالعقيدة الصحيحة ، والايمان المطلق الى حد الورع والزهد والتصوف المعتدل . ومن هنا تربى السوسى تربيته الجذرية الاساسية الاولى على هذا النحو ، حتى انغرست فى ذهنه هذه المعالم السلوكية الروحية ، ولو نظريا على الاقل من الوجهة البسكولوجية النفسية، ومن الوجهة البيداغوجية التربوية نظرا لصغر سنه فى هذه المرحلة ، وانطلاقا من هذا الاساس الاساسى الذى ـ لا شك ـ انه ترك بصماته المؤثرة فى تكوين شخصية السوسى . درج رحمه الله طول حياته معتزا بعقيدته الدينية ، مدافعا عنها من الناحية الروحية ، على الاقل من وجهة نظره ، لدرجة انه تعرض لبعض الانتقادات فيما يخص موقفه من الطرقية والطرقيين الذى تبدو مساندته اياهم واضحة كما اثار الى ذلك الاستاذ عبد الصمد بلكبير فى مجلة « الثقافة الجديدة » عدد 22 ص 128 . وقد يرجع هذا الى ما سبق أن اشرنا اليه بخصوص تربيته وتكوينه وثقافته ، وسنوضح هذا أكثر فى باب النقد ، أما هنا فيكفى أن نبرز حقيقة واحدة وهى ان السوسى كان لا يخاف فى الله لومة لائم ، كما يقول الاستاذ عبد اللطيف خالص عنه فى دراسته : « جوانب فذة من شخصيات المرحوم السوسى » ، نظرا لتكوينه التربوى الدينى المؤثر ...

ب ـ المؤثر الثقافى العلمى التقليدى :

درج السوسى منذ نعومة أظفاره على الاغتراف من علوم عصره

التقليدية المعروفة آنذاك ، سواء فى بلدته بسوس ، على يد علماء هذا الاقليم ، او على يد علماء مراكش وفاس ، ومن هنا برع رحمه الله فى شتى هذه العلوم ، وخصوصا حين التحق بفاس كما جاء عنه فى النص المشار اليه فى دراسته وكما قال عنه الاستاذ محمد العثمانى فى مجلة « الكلمة » : « أراد ان يكون شاعرا فكانه ثم اراد أن يكون عالما فكانه ، ثم اراد أن يكون مؤرخا موضوعيا فألف اكثر من خمسين مجلدا فى تاريخ اقليم لم يسبق له تنظيم أو تنسيق » . وكل هذا بفضل ما درج عليه من طموح واغتراف من ثقافة عصره التى انكب على الاخذ بها ...

ج ـ المؤثــر البيئــى الاجتمـاعــى :

المعروف عن السوسيين انهم رجال معروفون بجديتهم وحيويتهم وطموحاتهم وتشبثهم بعرقيتهم السوسية الاقليمية ، وبأصالتهم العرفية والتقليدية والاجتماعية ، حتى ولو ارغمتهم الظروف وطوحتهم خارج حدود اقليمهم . وهذه ليست نزعة تعصبية اقليمية بقدر ما هى اعتراف وحنين وشوق الى ارض النشأة الاولى ، ومن منا لا يحن الى مسقط راسه ، وبيئة طفولته ، وهذا ما جعل السوسى يتأثر كغيرى او اكثر بانتمائه البيئى كسوسى ، فاذا هو يكن لسوس كل ذلك التقدير والتنويه فى مؤلفاته كما سياتى تحليل ذلك تحليلا اوسع فى غير هذا الموضوع ...

د ـ مؤثــر التيــار السلفــى المعــاصــر :

سبق ان أشرنا بأن السوسى احتك مع الكثير من الشخصيات الدينية، التى كان لها وجود ملحوظ فى الحركة الاصلاحية السلفية الدينية ، حيث اتصل بمراكش مع الشيخ أبى شعيب الدكالى ، والشيخ السلفى محمد بن العربى العلوى وغيرهم من الشخصيات السلفية المغربية المعاصرة لـه ، وبالاضافة الى هذه اللقاءات المباشرة نجد ايضا ان السوسى قد انكب ـ ولا شك ـ على قراءة تراث السلفيين الاوائل بالمشرق والمغرب كابن القيم ، وابن تيمية ، وابن عبد الوهاب ، والافغانى ، وعبده ، والسنوسى، والثعالبى ، وابن باديس ، ثم مما لا شك فيه أخيرا ان السوسى ـ وهو الباحث والمدقق والمفكر لم يكن مجرد قارىء وتابع لآراء وافكار هؤلاء ، بقدر ما كان محققا ومعللا ومحللا ومصوبا ، وبالتالى اصبح عالما ومصلحا سلفيا معاصرا ومتفتحا نسبيا كما يرى بعض الباحثين والنقاد ...

وكيفما كان الحال هنا وخاصة فى سلفية السوسى من حيث التقليد

والتجديد ـــ فان الشيء الذى نبحث عنه نحن فى هذه النقطة بالذات ٠ هو ان السوسى قد تأثر بالتيار السلفى المعروف قديما وحديثا بحكم اطلاعه وبحثه وطموحاته ككاتب وباحث ومؤلف ومصلح ٠٠

هـ ـــ المؤثـــر السيـــاسى الوطنـــى والقومـــى :

لم يكن السوسى ـــ وهو منكب على الدراسة والتحصيل والتأليف ـــ غائبا عما يجرى فى الوطن العربى والاسلامى من حركات ونهوض وانبعاث فكر جديد لمواجهة الاستعمار ، وتحرير الشعوب المغلوبة على امرها ، بل ان السوسى ـــ بحكم تلك الظروف ـــ كان يعيش احداث الامة الاسلامية عموما ، والمغرب خصوصا ، وذلك فى ميدان السياسة والوطنية والقومية العربية ٠ وكيف لا يعيش السوسى هذه الاحداث ويتأثر بها ، وهو والحالة هذه من طلاب القرويين آنذاك والذين منهم تأسست اللبنات والخلايا الاولى للحركات الوطنية المباركة فى المغرب ، والتى كانت وبالا على المستعمر، ويحدثنا السوسى رحمه الله عن هذه المؤثرات السياسية الوطنية الاولـــى التى صنعت اتجاهه وهو بفاس فيقول : « وفى فاس تكون عندى مبدا عصرى على آخر طراز ٠٠ فتمخضت الحركة الوطنية المرتكزة على الدين والاخلاق السامية » . هذا بالنسبة للمؤثر السياسى الوطنى المحلى ، اما بالنسبة للمؤثر السياسى القومى على الصعيد العربى ، فان السوسى أيضا لم يكن يجهل ذلك التيار المتمثل فى « القومية العربية » التى نادى بها المفكرون العرب ، وعلى رأسهم شكيب ارسلان ، والتى تهدف فى اصلها وجوهرها الى توحيد صفوف الامة العربية لتعمل جنبا الى جنب حتى تستعيد مكانتها ومقوماتها وقوميتها وحريتها من بين القوميات العالمية. ويظهر ان السوسى كان متعاطفا مع فكرة « القومية العربية » هذه ، رغم علاتها ، ورغم ما قيل ويقال عنها فى الانتقادات الموجهة اليها حاليا ، باعتبارها فكرة عنصرية ضيقة محدودة ، تتنافى مع القومية البشريـــة الانسانية العامة ، كما يظهر تأثر السوسى هذا ايضا فى كتابته التاريخية الاقليمية متأثر بالطبرى وابن خلدون ، وبعض المؤرخين المغاربة الاقليميين الذين سنراهم فيما بعد ...

تلكم كانت هى اهم المؤثرات الكبرى التى عكست وطبعت شخصية السوسى بالاضافة الى مواهبه الخاصة ، واستنتاجاته وآرائه التى مكنته من ان يصنف اخيرا فى قائمة رواد النهضة والاصلاح بالمغرب كما سنرى

ذلك فى المحاولة التالية لتحديد وضبط مجالاته واتجاهاته الاصلاحية فى النقطـــة الثالثـــة هـــذه :

ثالثا ـ جهاد السوسى ونضاله فى المجالات الاصلاحية :

يكاد يجمع الباحثون والنقاد على ان شخصية السوسى متعـــددة الجوانب كما أشار الى ذلك كل من عبد اللطيف خالص ومحمد العثمانى، وعبد الصمد بلكبير ، والزباخ فى كتابه الرائد ، وكتاب النهضـة الحديثة الذين أرخوا لحركات الانبعاث الحديثة . الا ان هذا لا يمنعنا من تحديد وضبط اهم مجالاته الاصلاحية التى يمكن أن نجملها فى الميادين التالية :

أ ـ اصلاحات السوسى فى مجال العقيدة والدين والوطنية :

رغم ما قيل ويقال عن سلفية السوسى ، وعن موقفه من « الطرقية والطرقيين » ، ـ فانه باعتباره ـ رحمه الله ـ مؤمنا سلفيا صادق الايمان، ثابت التوحيد ، راسخ العقيدة كما يروى عنه فى مختلف المصادر والدراسات، وباعتباره نشأ نشأة دينية سلوكية مثالية ، وبكونه مفكرا وعالما ومطلعا على حقائق وتعاليم دين الاسلام فى جوهره وعمقه وحقيقته ـ كان يرى ، كما رأى أسلافه السابقون أن استعادة مكانة المسلمين مرهونـــة أولا وقبل كل شىء باستعادة وضعيتهم الصحيحة تجاه ممارستهم لتعاليم هذا الدين ممارسة تقوم على اساس ما كان عليه السلف الصالح ، وهذا طبعا يتطلب تضحية وصمودا وثبوتا من طرف « الداعية » لكى يواجه كيـــد الكائدين وفتنة الفاتنين . ومن هذا المنطلق الدينى السلفى الذى سار فيه السوسى لفت انتباه المستعمر اليه ، فاذا بالدخيل الغاشم بدأ يراوده الشك فى كل اعمال السوسى وسكناته وحركاته ، رغم ان صاحبنا رحمة الله عليه ، حاول أن يوهم الاستعمار ان عمله لا يخرج عن نطاق العقيدة الدينية ، وانه لا علاقة له بالسياسة ، الا ان المستعمر بدهائه وفكره كان يعلم ان الدفاع عن الدين بالطريقة التى ينهجها السوسى لا يمكن ان تكون بعيدة عن الوضع السياسى الراهن الذى يتردى فى أحضان الاستعمار . ورغم هذا فان السوسى لم يخف فى الله لومة لائم ، ولم يتراجع عن مناهضة خصوم الاسلام . وفى هذا الموضوع يقول عنه الاستاذ عبد اللطيف خالص : « فقد كان رحمه الله مؤمنا أصدق الايمان ، ومسلما مخلصا لا يقبل اى تراجع فى الدين ، أو تهاون مع الملحدين ، أو تعايش سلبى مع خصوم الاسلام ... » . ويقول عنه الاستاذ مصطفى الزباخ فى

كتابه : « الرائد فى دراسة الادب العربى الحديث » الطبعة الاولى ص 59 : « امتزج وعى السوسى السياسى الوطنى بالنضال الفكرى الاصلاحى الدينى الذى كان امتدادا لمؤثرات بيئية وثقافية » . وقد سبق أن أشرنا الى نص من كلامه رحمه الله الذى مزج فيه النضال السياسى بالاصلاح الدينى حين قال : « ومن هناك تمخضت الحركة الوطنية المرتكزة على الدين والاخلاق السامية ، والعلم والسنة القويمة ... » . ولعل هذا ما جعل الاستعمار ينقم عليه كما سيأتى ، رغم انه استعمل « التقية » فى سياسته الاصلاحية الدينية هذه ، نظرا لكونه لم يكن ثائرا ملحوظا ومعروفا فى هذا المجال ، ولم يعلن صراحة عن انتقاداته وجدلياته ، ولم يفصح عن مبادئه السلفية الحديثة ، وانما صاغ ذلك فى قالب تاريخى واجتماعى وحضارى وسياسى وفكرى ليطمن الاستعمار من الخلف ، عندما حاول تقسيم المغاربة باصداره للظهير البربرى سنة 1930 م ...

وهناك ادلة كثيرة وشواهد اخرى عديدة ، تبين بوضوح ان السوسى كغيره من المصلحين السلفيين مزج بين النضال العقيدى والنضال الوطنى السياسى ، وذلك منذ أن كان طالبا بفاس ، كما جاء ذلك فى كتاب «تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب» لعبد الكريم غلاب ، وكتب النهضة الحديثة ، حيث ثبت انه ــ رحمه الله ــ شارك فى تأسيس عدة جمعيات سرية كانت هى النواة الاولى الممهدة للحزب الوطنى والكتلة الوطنية ، واخيرا حزب الاستقلال ، وذلك بجانب الزعماء الاوائل الذين قادوا هذه الحركة الوطنية المباركة منذ نهاية الحرب الريفية وبداية المقاومة الجديدة منذ اعلان الظهير البربرى ... ساهم فى الحركات السياسية بجانب علال الفاسى الذى كان السوسى احد رفاقه فى الكفاح ، وفى تأسيس تلك الجمعيات السرية ، وقد نوه رحمه الله بذكاء علال ومقدرته وشجاعته اذ يقول : « واخترناه رئيسا لجماعتنا السرية الاولى فى القرويين مع أنه كان أصغرنا سنا ، لما كان يتمتع به من ذكاء ومقدرة ... » ، وكذلك الاستاذ اليزيدى ، وابو بكر القادرى ، وبلافريج ، ومحمد غازى ، والهاشمى الفيلالى ، وعمر بن عبد الجليل ، والوزانى ، وغيرهم كثير ، رحمة الله على الذين قضوا نحبهم منهم ، وأطال عمر الباقى منهم . ومن هنا نجد السوسى قد تعرض للنفى والاضطهاد الفرنسى كما قال هو عن نفسه فى كتابه : « سوس العالمة » : « نفيت الى بادية سوس فى مختتم 1355 هـ (1937)، وأفرج عنى الافراج التام فى مختتم 1364 هـ (1945) م » . كما ثبت ايضا

فى مصادر اخرى انه نفى مرارا وتكرارا ، وخاصة فى المرحلة السياسية العصيبة التى عاشها المغرب ، ما بين 1952 م الى 1955 م ، حين اشتد القمع الاستعمارى ، وحين امتدت يده الى نفى السلطان محمد الخامس ، وتشريد العديد من قادة الحركة الوطنية ...

ب ـ اصلاحات السوسى فى مجال التعليم ونشر الوعى :

فى هذا المجال التعليمى والثقافى ونشر الوعى ، وتطوير مناهج التدريس ـ يعتبر المرحوم المختار السوسى من قادة الزمرة الاولى ، الذين كانوا يغارون على تراثهم الادبى والفكرى والحضارى ، الذى أخذ يضيع ويتلاشى تدريجيا ، امام سياسة التجهيل والتغريب والتفقير ، التى كان الاستعمار يمارسها على الشعب المغربى ، قصد مسخ شخصيته المغربية والعربية الاسلامية . اذا كان رحمه الله من المتطوعين والمساهمين بقسط أوفر ، فى احياء التعليم العربى ، ونشر الوعى الفكرى والثقافى والحضارى على أوسع نطاق ممكن بجانب شباب هذه الحركة الثقافية من زملائه النخبة المثقفة . وهكذا عمل أستاذا فى المدارس الحرة ، وخاصة بفاس ومراكش ، فأخذ عنه الكثير ، واستفاد من علومه ومنهجيته وارشاداته ومواعظه أبناء الوطن ، حتى ليمكن القول بأن دور السوسى فى هذا المجال كان فى الطليعة بالمقارنة الى مجالاته الاصلاحية الاخرى . وهذا ايضا لا يحتاج الى ادلة وشواهد ونصوص ، بل يكفى أن تتصفح كتب تاريخ النهضة والانبعاث بالمغرب فنجد ما ذكره عبد الكريم غلاب عنه فى هذا الصدد اذ يقول فى كتابه المذكور ص 38 ما نصه : « وفى نفس الوقت ، وحول المدرسة الناصرية ، تأسست جمعيتان ، احداهما ثقافية ، كان يراسها الاستاذ المرحوم محمد المختار السوسى ، والثانية سياسية سرية كان يتراسها أصغر الاعضاء سنا ، وهو المرحوم علال الفاسى . وذلك فى 12 رجب 1344 هـ ، و 1926 م » . مع العلم ان عبد الكريم غلاب قد اعتمد بالدرجة الاولى فى تاريخ المرحلة الاولى للحركة الوطنية . على كتاب السوسى ، نفسه المعروف بـ « الالغيات » ....

وفى هذا الصدد أيضا يذكر محمد العلمى فى كتابه « علال الفاسى رائد الحركة الوطنية » ، وهو يتعرض لزيارة شكيب أرسلان لتطوان ، وعلاقة هذه الزيارة بنشر الوعى الثقافى والسياسى بالمغرب ما نصه : « وفى هذه الواقعة ، تم الاتصال بين جماعات المثقفين الموجودة فى البلد ، وخصوصا من فاس ، والرباط وسلا وتطوان ، وكان يسير تلك الجماعات محمد بن الحسن الوزانى ، وعلال الفاسى ، وعمر بن عبد الجليل ،

والمختار السوسي . » ثم ذكر شخصيات أخرى عديدة من بينها أبو بكر القادري — انظر ص 64 — كما تعرض المؤلف أيضا في ص 76 من المصدر نفسه لنضال السوسي في الجنوب بمراكش باعتباره أحد قادة الحزب هناك فقال : « وفي الجنوب المغربي قامت مراكش بدور ملحوظ ، وكان قادة الحزب وقتها ، هم المختار السوسي وسعيد الفاسي — عم علال الفاسي — وأحمد المنجرة ... الخ » .

ومن هذا الجانب أيضا نقم المستعمر من السوسي ، فشرده ونفاه ، حتى ان بعض المؤرخين للحركة الوطنية يقولون ان السوسي اختار النضال الثقافي ومارسه اكثر من النضال السياسي ، بل وبعضهم غالوا في الامر حتى زعموا ان التجاء السوسي للنضال الثقافي بدلا من السياسي يعتبر هروبا منه من المواجهة الاستعمارية المباشرة — انظر هذا الزعم في مجلة « الثقافة الجديدة » العدد 22 ص 128 . اما عبد الكريم غلاب فقال وهو يعلق على صورة السوسي المنشورة في كتابه المذكور بجانب صورة علال الفاسي ص 37 ما نصه : « ... ومنذ ذلك التاريخ (تاريخ تاسيس الجمعيتين المشار اليهما) وهو — أي السوسي — يعمل في الميدان الثقافي أكثر من الميدان السياسي ، ورغم ذلك فلم يسلم من الاعتداءات الاستعمارية ، فذاق السجن والنفي عدة مرات » .

ج — اصلاحات السوسي في ميدان احياء التراث الحضاري التاريخي وتخليده :

عندما نفي السوسي الى الجنوب ، وعزل عن العالم الخارجي ، حيث الزم العزلة عن الناس رغما عنه ، كما جاء في كلامه في النص المذكور سابقا — ظن المستعمر الفرنسي انه بعمله هذا المتمثل في تقييد ونفي وعزل السوسي عن الناس ، قد كسر شوكة المرحوم ، وانه قد أمن من شره .

الا ان السوسي رحمه الله ، قد خيب ظن الاستعمار هذا ، حين استبدل نشاطه الاصلاحي الوطني السياسي المباشر ، بنشاط أقوى منه واخطر ، وهو تخليد تاريخ هذه الحركة المباركة ، باعتكافه على الكتابة التاريخية ، ليكون ذلك نوعا آخرا من اصلاحاته في ميدان احياء التراث ، وتخليد مواقف النضال ، يعود اليه الاجيال ، ليكون لهم خير مثال يحتذى في ميادين البطولات والمواقف والصمود والثبات ، وليكون أيضا خير مرجع لتاريخ الحركات الوطنية المغربية الاولى في عهد النهضة كما اشار الى

ذلك غلاب . كما ان التأليف فى المناق هو من شيم وطبيعة وسنة العظماء وكمـــا هـــو معلـــوم .

وقد سبق أن أشرنا الى تآليف السوسى ، ولا حاجة هنا للتكرار وانما نشير الى ان السوسى ، استطاع ــ بالاضافة الى نضالاته الدينية والسياسية والثقافية ــ ان يؤرخ بكيفية علمية دقيقة ومتقنة لاقليم كانت معلوماته مهملة ومبعثرة ، لم يسبق له تنظيم او تنسيق ، كمـــا يقـــول الباحثون والنقـــاد .

ومن هنا يتجلى المجهود الجبار والمكثف الذى قام به السوسى ، سواء من حيث الكم ، او من حيث الكيف ، أو من حيث البحث والتنقيب عن الوثائق والمعلومات والمصادر والمخطوطات ، وخاصة اذا عرفنا ان هذا النوع من الكتابات التاريخية العلمية والاجتماعية تختلف عن تدوين التاريخ السياسى التقليدى العام والشامل للوطن كله . وبالتالى فان عمل السوسى هذا المتمثل فى الاتجاه التاريخى العلمى والفكرى والسياسى المحلـــى الاقليمى يكاد يكون أتجاها اجتماعيا سيسيولوجيا على غرار ابن خلدون او من غرار أرسلان لولا نزعته المحلية الضيقة ، والتى حاول السوسى رحمه الله أن يبرزها بقوله : « .. ويعلم الله انه لو قدر لى أن أكون ابن تافيلالت أو درعة أو الريف لرايت الواجب على ان أقوم بمثل هذا العمل نفسه ... لاننى من الذين يرون المغرب جزءا لا يتجزأ ، بل ارى العالم العربى كله .. بل ارى جميع بلاد الاسلام ... بـــل لو شئت أن أقـــول ــ ويؤيدنى دينى فيما اقول ــ اننى ارى الانسانية جمعاء أسرة واحدة ...»

ويذكرنا كلام السوسى هذا والذى حاول فيه أن ينفى تهمة التعصب الاقليمى والوطنى والقومى ، بكلام ابن باديس المعروف تحت عنوان : « لمن أعيش » ؟ حيث هو أيضا ينفى تهمة الوطنية الجزائرية الضيقة عن نفسه .. والسؤال الذى يطرحه الباحثون والمحللون دائما حين يتناولون هذا الاتجاه السوسى فى الكتابة التاريخية هو كما يلى : لماذا اختار السوسى هذا الاتجاه ؟ أو ما هى العوامل المؤثرة فيه حتى جعلته يختار الكتابة التاريخية الاقليمية اكثر من غيرها ؟ بالنسبة للسؤال الاول سبق أن اشرنا الى ان السوسى اختار هذا الاتجاه ليطعن الاستعمار من الخلف ، وليبرهن على انه ضد النزعة التقسيمية التى حاول الاستعمار أن يمارسها باصداره الظهير البربرى ، أى انه ليس متأثرا بها كما يفهم بعض النقاد ، لانه أشار الى حث الباحثين على هذا النوع من الكتابة ، كل حسب مجهوده وفى اقليمه ، كما انه أثار هذا الاتجاه لتحظى البوادى المغربية بما حظيت

به جل مدنه كفاس ومراكش والصويرة ومكناس والرباط . ومن هنا لا يستبعد ان يكون السوسى قد تأثر بالاتجاه التاريخى المحلى الحضرى عند كل من : عباس بن ابراهيم التعارجى مؤلف تاريخ مراكش ، وعبد الرحمن بن زيدان مؤلف تاريخ مكناس ، ومحمد بوجندار مؤلف تاريخ رباط الفتح حسب ما يراه الاستاذ عبد الصمد بلكبير فى مجلة الثقافة الجديدة — عدد 22 — . أما عن السؤال الثانى ، فان السوسى يحدثنا عنه فيقول : « هذا واننى — انا ذلك السوسى المولع بالتاريخ منذ نشأته — لابذل كل ما فى امكانى للكتابة عن بادية سوس .. » . فقوله : المولع بالتاريخ منذ نشأته . نفهم منه انه ليس ضروريا أن يكون قد تأثر بالطبرى والخلدونى والارسلانى ، أو بمن جاء ذكرهم فى مجلة الثقافة الجديدة ، كما انه يمكن أن يكون قد تأثر بمن ذكرنا ، الا ان قوله « منذ نشأته » قد لا يؤدى تأثره باى كان ، لان النشأة قد تكون سابقة على التأثر ، لان التأثر قد لا يحصل الا بعد الوعى والبلوغ والتعمق فى القراءة والدراسة والتحصيل ، ونحن نعلم ان تكوينه الثقافى الاول كان بعيدا عن ميدان التاريخ ، كما كان تكوينه حين شبابه وهو طالب بفاس أيضا بعيدا عن هذا الميدان . فكيف اذن نوفق بين النشأة الاولى التى غالبا ما تكون غير مؤهلة للتأثر بالغير كما يقول السوسى عن نفسه ؟ وبين التأثر بالغير كما اشرنا اعلاه ؟

حقا ، ان السوسى لم يشرع فى التأليف التاريخى الا سنة 1937 حين بداية النفى ، ومعنى هذا انه كان يناهز حوالى 34 عاما من عمره حسب تاريخ ميلاده فى مجلة الثقافة الجديدة ، التى ذكرت انه ولد سنة 1903 ، أو كان يناهز حوالى 48 عاما من عمره حسب تاريخ ميلاده فى كتاب « الرائد فى الادب » لمصطفى الزباخ الذى أورد انه ولد سنة 1889م وكلا العمرين مؤهلان للتأثر بالغير ، ولكنهما لا ينسجمان مع مفهوم النشأة فى كلام السوسى ، لان هذه النشأة غير قادرة على التأثر أولا ، ولان الظروف المؤثرة فى مجال التاريخ كانت غير موجودة ثانيا ، ومن هنا قلنا انه ليس ضروريا أن يكون هناك مؤثر خارجى ، بل ربما هى خاطرة رافقت طفولة السوسى منذ نشأته ، ثم دعمها فيما بعد بالقراءة الحرة ، ثم تبلورت الفكرة الالهامية عنده حين النفى ، وهنا نكون قد وفقنا بين النشأة الاولى كما أشار السوسى ، والتأثر الذى جاء من بعد ، والمنفى الذى أخرج الولع الى حيز الوجود ، مع العلم انه اذا كان هناك تأثر بالغير بعد خاطرة النشأة ، فلن يكون تأثرا جذريا ، لان الذين ذكروا أعلاه كتبوا عن المدن ، أما هو فقد كتب عن البوادى المهملة ، وهذه لفتة

عظيمة من السوسى لاستكمال الوحدة العامة لتاريخ الوطن حواضره وبواديه كما قال فى كتابه « سوس العالمة » .

والآن ، وبعد هذه النظرات الموجزة التى تناولنا فيها اهم مجالات نضالات السوسى دينيا وثقافيا ووطنيا وتاريخيا — يمكن لنا ان نتناوله من جانب آخر ، هو جانب النقد والتنظير فى هذه النقطة الرابعة الموالية من هذا البحث المتواضع فنقول :

رابعـــا — السوسى فى الغــربـــال :

قبل ان نضع السوسى فى الغربال ، استسمح القارىء الكريم ، بهذا « الاستطراد القصير عن مفهوم النقد ، ووضعيته عندنا » فأقول متواضعا: ان المشكل الذى يعانيه الانتاج الفكرى العربى عموما ، والمغربى خصوصا ، هو مشكل النقد فى عصرنا الحديث ، ذلك ان النقد بمفهومه الادبى المعروف، هو اصدار حكم نزيه ومنصف وعادل وموضوعى على الانتاج المنقود ، من طرف الناقد ، مع احترام شخصية المنقود طبعا ، كالنقد لذات النقد ، بغض النظر عن الحزازات الشخصية التى ربما تكون ناتجة عن اختلاف فى الانتماءات المذهبية ، أو الاتجاهات السياسية والحزبية ، أو الاجتماعية، أو الايديولوجية بين الناقد والمنقود شخصيا ، والتى قد تبعد النقد عن الهدف المتوخى منه ، ما دام ان النقد بمفهومه الادبى الانسانى يعتبر رسالة اصلاحية توجيهية سامية ، لا يضطلع بها على الوجه المطلوب ، الا من هو اهل لها خبرة وعلما ودراية وتجربة وممارسة ، طبقـــا لمقاييســـه ومعاييره السائدة عند أهل هذه الصنعة كفن ، مع العلم ان نهوض الامة مرهون بوجود النقد فيها فى شتى الميادين عموما ، وفى ميدان الفكـــر خصوصا . كما ان ركود الامة أيضا مرهون بانعدام النقد النزيه فيها ...

وقد مر النقد الادبى فى المشرق بمعاناة شديدة من السلبيات والحزازات الشخصية المشار اليها خلال مرحلة « نقد النقد » واعتقد انه ما زال لم يخرج بعد من هذه المرحلة ، التى لا بد من تواجدها لتهذيب مفهوم النقد حتى يقف على قدميه . اما النقد عندنا فى المغرب فحدث عنه ولا حرج ، وذلك اما : 1 — لقلته . ان لم نقل لانعدامه أحيانا بالقياس الى كثرة ما يكتب وينشر ويؤلف ، وهذا فى حد ذاته يعتبر اجحافا فى حق المنتج ، ما دام النقد نوع من الاشهار والتعريف والتشجيع للمنقود ، سلبيا كان هذا النقد ، أو ايجابيا بالنسبة له ، المهم ان يكون نزيها وموضوعيا كالنقد لذات النقد .. 2 — واما بوجود النقد أحيانا عندنا ، ولكنه غيـــر

نزيه لاسباب سبق أن لمحنا اليها ... 3 ـ وإما لجهل الناقدين والمنظرين بمقاييس النقد ، أو عدم الاتفاق عليها مبدئيا ...

وعلى كل حال ، فان الكلام عن النقد طويل وطويل جدا ، لا يتسع لصفحات وصفحات ، بل لا يتسع لمجلدات وأسفار ، وقد لوحظ عندنا فى المغرب ، وخاصة فى هذه الايام ، ان زمرة من الناقدين ، تناولوا فى انتقاداتهم وتنظيراتهم وتقييماتهم موضوع « السلفية والسلفيين » ، وبما ان المختار السوسى رحمه الله يعتبر عالما ومصلحا سلفيا فى كل مجالاته ونضالاته وواجهاته المتعددة الجوانب كما بينا أعلاه باختصار .. أقول .. بما ان الامر كذلك ، فماذا عسانا أن نقول عنه فى مجال النقد والتنظير والتقييم؟ أو ماذا قيل ويقال عنه فى هذا الصدد ؟ ومن معه ؟ ومن عليه ؟ مع ملاحظة أولية ، وهى ان الذين كتبوا عن السوسى معظمهم اقتصر على ابراز دوره كمؤرخ وكباحث وكوطنى مناضل فى اطار سلفى ، دون تحليل أو نقد أو تقييم موضوعى جرىء لانتاجه واتجاهاته ومواقفه حيال بعض القضايا ، اللهم باستثناء ما نشر مؤخرا فى بعض المجلات ، بالاضافة الى محاولتنا المتواضعة فى هذا البحث والتى سيرى القارىء الكريم ، اننا لم نعتمد سرد الحوادث والمرور بها دون العوامل الخفية الكامنة وراءها ، بل اننا حاولنا قدر الامكان اعمال النظر فيها لابراز العنصر التحليلى والنقدى لكل اعمال السوسى ومواقفه مع احترام شخصيته كمناضل نفى وسجن على الاقل ، ومن هنا فان جل آراء النقاد التى سنوردها أسفله . سبق ان عضدت بها محاولتى هاته خلال العرض، ولكنى فضلت أن أصنفها هنا وأن أزيد عليها ، حتى يسهل اخذ الفكرة العامة عن شخصية السوسى ، لا من خلال آثاره فحسب ، ولكن من خلال آراء النقاد أيضا .. أولئك النقاد الذين نحترمهم ونحترم آراءهم ، والذين نطلب منهم أن يستسمحونا على الصراحة التى يلمسونها خلال التعقيب على بعض آرائهم تلك . وبما ان النقد يشمل المحاسن والمساوىء على السواء ، فانني سأذكر أهم آراء النقاد ، معارضين كانوا او مؤيدين :
ـ ففيما يخص سلفية السوسى عموما ، الدينية منها والوطنية والفكرية والثقافية يقول عنها : الاستاذ عبد الصمد بلكبير ما معناه : « موقف السوسى من الطرقية لم يكن موقفا مناهضا لها ، بل انه يرى ان الاسلام روحانى أكثر منه مادى ، وبهذا أعلل موقفه المساند للطريقة ... » ـ مجلة الثقافة الجديدة ، عدد 22 ص 128 ... ـ ويقول ايضا : « ان اختيار السوسى للكتابة التاريخية والفكرية والاكاديمية هو بمثابة تهرب منه من النضال السياسى المواجه والمباشر للاستعمار ... »

وقريب من هذا ، وفى موضوع الاتجاه التاريخى عند السوسى ، وتضخيمه لكلمة « سوس » يكاد يجمع النقاد على ان : المختار السوسى مؤرخ اقليمى محلى كثف مجهوده الضخم فى اقليم واحد بدلا من ان يوزعه ويعممه كمؤرخ وطنى علمانى شامل لكل ارض الوطن ، وهو بهذا ذو نزعة اقليميـــة أنانيـــة » .

ويقول آخرون : « ان كتابة السوسى لبادية سوس فيها لفتة الى ضرورة العناية بالتاريخ العام للوطن حواضره وبواديه .. » . ويقول عنه الاستاذ محمد العثمانى فى مجلة « الكلمة » وهو يحاول ان يعدد جوانب شخصيته : « أراد أن يكون شاعرا فكانه ، ثم أراد ان يكون عالما فكانه ، ثم أراد أن يكون مؤرخا موسوعيا فكتب أكثر من خمسين مجلدا فى أقل من خمس وعشرين سنة ، فى تاريخ اقليم لم يسبق له ضبط او تنسيق .. ».

ويقول عنه عبد اللطيف خالص فى دراسته (جوانب فذة من شخصية السوسى) : « فقد كان مؤمنا أصدق الايمان ، ومسلما مخلصا ، لا يقبل أى تراجع فى الدين ، أو تهاون مع الملحدين ، أو تعايش سلمى مع خصوم الاسلام المسلمين » .

ويقول عنه الاستاذ مصطفى الزباخ فى كتابه « الرائد فى دراسات الادب العربى الحديث » : « يرتكز الوعى الاصلاحى عند السوسى على اساسيين : 1 ــ احياء التراث الوطنى والقومى مستلهما التاريخ كعدة للنهوض والتصحيح ، 2 ــ تحدى ظواهر الغزو الفكرى والعقائدى التى سلختنا من مقوماتنا .. » ثم يستشهد الزباخ على هذا بنصوص من كلام السوسى نفسه . ويقول الزباخ أيضا : « ساهم السوسى فى انشاء مدارس حرة لتعليم اللغة العربية والدين ، ودراسة التاريخ الوطنى والقومى للامة » . ويقول عنه الاستاذ عبد الكريم غلاب فى كتابه تاريخ الحركـــة الوطنية بالمغرب مستعرضا نضاله الثقافى الذى يقول انه اكثر من نضاله السياسى : « عمل فى الميدان الثقافى اكثر من الميدان السياسى ، ومع ذلك لم يسلم من اعتداءات السلطات الاستعمارية ، فذاق السجن والنفى عدة مرات » ويقول عن أهمية كتابته التاريخية ، وخاصة كتابه «الالغيات»: « بالنسبة لكتابة تاريخ الفترة الاولى من الحركة الوطنية بالمغرب ــ يراجع

ما كتبه المرحوم المختار السوسى فى الالغيات وايلغ » ويقول فى شأنه محمد العلمى فى كتابه « علال الفاسى » رائد الحركة الوطنية : « كان يسيـر جماعات المثقفين ايـام زيـارة شكيب ارسلان السادة : المختار السوسى وأبو بكر القادرى ، والوزانى ، وعلال الفاسى ... » وقال عنه ايضا : « قامت مراكش بدور ملحوظ فى الحركة الوطنية بالجنوب ، وكان قادة الحزب فيها هم : العالم المختار السوسى وسعيد الفاسى (عم علال الفاسى) واحمد المنجرة ، وغيرهم ... وقد تحدوا طغيان الجـلاوى » . وعـن كتابتـه واتجاهاتهـا المعاصرة مضمونا وشكـلا ، وسلفيتـه الحديثة والمتفتحة جاء فى الكتاب الذى أقرته وزارة التعليم لطلاب السوابع ادبى ما يلى : « ان المختار السوسى كان متفتح الذهن ، مدركا لتطورات العصر ، ومقتضياته ، كما يظهر ذلك فى كتابته بصفة عامة ، وبالاخص فى روايته « بين الجمود والجحود » والتى نشر منها فى مجلة « دعوة الحق » . كما جاء فيه ايضا : « ان السوسى كاتب متين التعبير ، بعيد عن زخرفة الصنعة ، وحذلقة البيان ، يكتب ليعبر عن الفكرة فى نصاعـة اسلوب ، ودقة تعبير » .

خامسا ـــ تعقيب وتقييم لشخصية السوسى من خلال العـرض وآراء النقـاد المـذكـورة :

ذلكم كـان هـو العرض المتواضع الذى تناولنا فيه شخصيـة السوسى ، دراسة وتحليلا ، وتلكم كانت هى آراء بعض النقاد والباحثين، منهم من كان معه ، وهم الاغلبية ، ومنهم من كان عليه تجاه بعض مواقفه. وبتعقيب بسيط ـــ مع احتراماتنا للاراء طبعا ـــ نقول : حقا ان السوسى لم يناهض الطرقية جهارا ، وقد يكون حقا أيضا انه غلب الجانب الروحى على الجانب المادى الاسلاميين ، وقد يكون حقا انه عمل فى النضـال الثقافى اكثر من النضـال السياسى ، فى انه اتجه لكتابة التاريخية والفكرية والاكاديمية واحتكرها فى سوس . وفى نظرى انه لا ينبغى ان نتسرع فى هذه المآخذ السلبية ونضخمها ثم نعتبرها اخيرا ان السوسى اختارها تلقائيا حبا فى الذات او النجاة ، او رغبة منه فى ابقاء ما كان على ما كان كاللامبالاة منه ، بل ان الذى يظهر من خلال دراستنا واستقصائنا ، ومن

خلال اتصالاتنا مع بعض الشخصيات المثقفة والمناضلة التى عرفت السوسى عن كثب أكثر ـ انه لم يكن رحمه الله يقبل اى تهاون مع خصوم الاسلام او مع الملحدين والمشوهين للعقيدة الصحيحة ، كما انه لم يختر الاتجاه الفكرى تهربا من المواجهة المباشرة ، بل انما عمل فى هذا السياق لسببين مهمين : احدهما يرجع فقط لمجرد تقسيم المسؤوليات ، وتوزيع المهام النضالية على المناضلين كل حسب ما يلائمه ويتقنه ، لان الاتجاهات الاصلاحية متعددة لكن الهدف العام والمشترك واحد . ثم انه اذا كان حقا ما يقال بأن السوسى اختار الاتجاه الفكرى تهربا من المواجهة ـ فلماذا نفى وسجن مرارا ؟ ثانيهما : ان السوسى حسب ما يبدو لى انه كان يستعمل مبدأ « التقية » والتقية فى مثل ظروف السوسى أمر مشروع . والا ، فماذا بيد السوسى أن يعمل أكثر مما عمل ، وأكثر مما قدمه لانه فى ظروف استعمارية قمعية عصيبة ذاق فيها الامرين ؟ وبودنا نحن ابناء هذا الجيل الذى خلف جيل السوسى ، ان نقوم ولو بجزء قليل مما قام به السوسى وأمثاله رحمة الله عليهم جميعا ..

وختاما ، وبتقييم موضوعى لاعمال السوسى مع ترحماتنا على روحه الطاهرة نقول : ان المرحوم الاستاذ السيد محمد المختار السوسى كان مصلحا وعالما دينيا سلفيا « هادئــا » ، وثائرا وطنيـا « متحفظا » سياسيا ، ومناضلا (بالتقيه) نضالا ثقافيا وفكريا واعيا ومؤرخا سوسيا « اقليميا » أكاديميا ، ومدونا للفترة « الاولى » من تاريخ الحركة الوطنية المغربية تدوينا كافيا .. « وما المرء الا ذكره ومآثره » . !!

احمد بودهان ـ الناظور

باقة على روحك الطاهرة
ياشيخنا المختار

للأستاذ فضول الصايغ

اقرارا بفضل شيخنا واستاذنا الجليل المرحوم المختار السوسى ووفاء لذكراه ، ثم نزولا عند نداء مجلة الايمان ، ورغبة أسرتها فى احياء ذكرى علامتنا الكبير . وجدت نفسى مدفوعا الى الكتابة عن رجل كان بحق مثالا نادرا فى نشر الوعى الوطنى بأسلوب شيق .

وفى اقناع سلفى جذاب .. وبتلقائية قلما نجد لها مثيلا فى الوقت الحاضر .

عرفته لأول مرة ليلة التقينا فى ظروف مخاض ، بمركز الشرطة حمرية بمدينة مكناس . لقاء جاء على غير ميعاد .. ليلة نفينا فيها الى الصحراء ، على اثر حوادث 8 دجنبر 1952 .

ومع أن الكلام كان محرما علينا طيلة هذه الليلة ، فقد كانت يدى المشتبكة بيد الفقيه السوسى بواسطة ما كان يسميه رحمه الله بالجوامع « مونوت » تشعرنى بفخر واعتزاز انسانى جبروت وعنجهية الدركيين المستعمرين .

انتقلت بنا فى تلك الليلة سيارتان مغلقتان فى اتجاه قصر السوق : الراشدية حاليا . وكانت السيارة التى تحملنا تضم عددا من السادة ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، أتذكر من بينهم الاساتذة : عبد الكريم بنجلون ، محمد الديورى من القنيطرة رحمهما الله .

وكان هذا الاخير قد توفى فى المنفى كما هو معلوم . ثم الاساتذة

محمد الفاسى وبلحاج ـ والحاج أحمد مكوار ، ثم المرحوم صاحب نضال ملك ـ وقد أنسيت اسمه .

فى قصر السوق ، حيث أدخلنا على الجنرال لوبلان ، الذى كان محفوفا بعدد من الضباط ، رؤساء الشؤون الاهلية . توجه الينا بالخطاب قائلا : انكم ستوضعون داخل حصن محصن ، وكان يعنى به حينذاك : معتقل اغبالو تكردوس ـ لكننا اثر مقابلة الجنرال ، وزعنا على عدة مراكز لبثنا فيها على انفراد الى أن اجتمعنا مع بداية الصيف 1953 فى معتقل أغبالو . فكانوا يلحقون كل واحدا واثنين بالجماعة على دفعات ، الى ان حل من بيننا ذات عشية الشيخ المختار .

هنا كانت بحق المفاجأة الثانية بعد ليلة الاعتقال . فلا زلت اتذكر ما احدثه مقدم هذا الرجل فى صفوفنا من فرحة كانت بمثابة شحنة لتقوية معنويتنا . فكنا منذ الساعات الاولى من مجيئه نتحلق من حوله عقب الصلاة لنكرع من علمه ، ونتزود من نصائحه .

على ان اهم عنصر جذب كهربى فى شخصية الشيخ المختار كان يرتكز على عدم فصله دائما بين العلم وبين نشره فى آن واحد للوعى الدينى والوطنى : فلكى يفهم المسلم دينه على حقيقته ، يجب ان يلم بلغة القرآن . وكم كنت أسمعه وهو يرد على بعض اخواننا الاطلسيين ، وهم يلحون عليه بالقاء دروس بالامازيغية فى تفسير القرآن أو الحديث قائلا لهم : يا أبنائى ـ عليكم بتعلم اللغة العربية فهى فضلا على أن القرآن منزل بها هى كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

انا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

الخ القصيدة العصماء .

وفى الحقيقة ، كان الشيخ المختار السوسى رحمه الله دائرة معارف ، وحجة فى اصول علوم اللغة العربية لا يشق له غبار . لم تكن مجالس علمه بأغبالو تقتصر على سجين دون الآخر : فمن حلقات لمريدى الاستفادة من النحو والصرف والتاريخ ، الى حلقات اخرى لطلاب الاصول والبلاغة

والبيان . الى اهتمامه صحبة الاستاذ محمد الفاسى بجمع الامثال ، سواء ما كان منها من اصل امازيغى ، أو باللهجة الدارجة أو العربية .

وبين جميع هذه الآفاق المعرفية التى كان الشيخ فتحها منذ قدومه امام المحبين له والمعجبين باتساع افقه ، وسعة اطلاعه وتواضعه ، كان له رحمه الله دلو اخرى كثيرا ما كان يدلى بها فى مجال قرض الشعر والتحليق بعيدا فى ارجائه عبر القرون .

هذا عن جهاده فى ثلاث واجهات هى :

— الدين . وكان فى تمثيله لنقائه يتحاشى الانزلاق الى التحلق او الشعوذة .

— العلم . وقد أشرت آنفا الى ما كان يقرنه بين الناحية النظرية والتطبيقية فى هذا السبيل .

— الوطنية : ويكفيه فضلا انه كان من بين القلة من علمائنا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم .

غير أن الصورة لن تكتمل ، دون أن اتطرق الى بعض من الارتسامات التى احتفظ بها من بين ذكرياتى عن شيخنا المختار : منها انه كان يتأثر كثيرا الى حد البكاء ، من بعض ما كان يصلنا خفية من انباء ، وبالضبط حينما سمع بالمقيم العام الاسبانى فيما كنا نسميه : المنطقة الخليفية ، وهو يعلن عن عدم موافقة بلاده على تنصيب الدمية بن عرفة « ملكا » على المغرب .

الارتسام الثانى اننا استيقظنا ذات يوم لنرى القيم على المعتقل السجان ، ينادى على الشيخ المختار السوسى ليبلغه قرار الافراج عنه .

وبما انه كان فى طليعة من افرج عنهم ، فقد سمعته وهو يجيبنا على تهانئنا له بالسراح ، فى روح من الدعابة ، وبتواضع لا يوازيه الا دماثة خلقه ، وتلقائية ردود فعله : انا أسبقكم فى مغادرة المعتقل لأنى لست سياسيا « كذا » « وانما أنا زعيم أجرومية سيدى ابن عاشر ... » .

وفى احدى زياراتى له بمنزل أخينا الاستاذ الحمداوى ، راح الشيخ

يقدمنى لبعض الحاضرين قائلا : أقدم لكم الشاب الوقار « فلان » رفيقى الذى جمعتنى معه الجوامع . ناسيا أنه لو كان الله اطال فى عمره ، لرأى ان ذلك الشاب الوتور الذى كان ينتمى لفترة كان الوقار يعتبر فيها مـــن المزايا ــ هذا الشاب سيصبح بفعل تأثير تقلبات عاديات الزمن . واختلال المعايير والقيم شيخا أو يكاد .. لكنه غير وقور .. لماذا ؟ لأن الجدية ونسيان الذات التى كان جيلنا تربى عليها قد ذهبت ويالأسف .

ولعل شيخنا لو بقى حيا الى الآن لكان سينشد مع الشاعر قولته مع أنها متشائمة :

فيامـــوت زر ان الحيـــاة كريهـــة

ويانفـــس جـــدى ان دهرك هازل

ولعل آخر مرة التقيت فيها معه ، بعدما عملت معه بضعة أشهـــر بوزارة الاوقاف التى لم يطل بها مقامه ، كان بالمشور ، حينما ذهبـــت للسلام عليه ، وهو حينئذ وزيرا من وزراء التاج . فاذا بى أجده فى مكتب من ابسط المكاتب التى عرفتها : كل ما فيه يوحى بالتقشف ، فلا زرابى .. بل وحتى حصر مبثوثة .. ولا أرائك او مقاعد وثيرة .. بل ، ولا تليفونـــات عن اليمن او الشمال ، او شواس وحجاب .. واعتقد أننى ما كنـــت لأزداد به اعجابا لو اننى وجدته فى مكتب يختلف فى مظهره عما رأيت .

فرحمه الله رحمة واسعة . وجازاه خيرا عما اسدى لوطنه وللأجيال السابقة من نصائح ، وأجز لها من عطاءات فكرية ونضالية .

فضول الصائغ

وزير التاج أو تاج الوزراء
الأستاذ محمد المختار السوسي

الحاج أحمد معنينو

لقد رجعت بي الذاكرة الى سنة 1936 حيث حظيت بزيارة مدينة مراكش الحمراء ، رفقة أوفياء . فكان نزولنا عند أخينا **وصفينا الاستاذ المختار الالفي** ، وانتقلنا معه لزيارة مدرسته الحرة « **بزاوية والده المقدس الشيخ المربى الصالح سيدى الحاج على الدرقاوى الالفى فى الرميلة** » طورها من زاوية الى مدرسة حرة عربية اسلامية ، جرت بيننا مذاكرات وافكار هامة . جدا ، منها حديثى لأخوته عما وقفت عليه من ترجمته الفريدة داخل كتاب « **الأدب العربى فى المغرب الاقصى** » لمؤلفه الكاتب الاديب **محمد بالعباس القباج** رحم الله الجميع . فقد جاء فيه بالنص ما يلى : ليس بغريب ان ينبغ من بين أمة بعيدة عن لغة الضاد افراد يرفعون ذكر امتهم الخ صفحة 60 **قسم الشباب** ثم قلت لأخوته اننى مبتهج من هذه العناية المدهشة بتكوين هذه الطوائف من ابناء سوس على اتقان اللغة العربية والأدب العربى والدين وقواعده واصوله .

فاجاب رحمه الله : انها غلطة كبرى جرت من اخينا مؤلف كتاب الأدب العربى الاستاذ محمد بالعباس القباج حيث ترجم لسوس فى شخصى بتلك الكلمات والتعبيرات المخالفة للحقيقة والتاريخ ؛ ثم قال سيأتى يوم تنجلى فيه الحقائق ، فتعرف سوس على حقيقتها ، وتمسكها بلغة الضاد ، وعنايتها بالأدب العربى ، واللغة والتشريع كأحسن ما يوجد بأعظم الكليات العلمية ، والمدن الرئيسية المبرزة فى الميدان **وقلت لأخوته اننى مبتهج بهذه العناية المدهشة بتكوين طائفة تلامذته النجباء وكلهم من**

ابناء سوس حيث وقف بين أيدينا الواحد تلو الآخر يلقى على مسامعنا قطعا شعرية عربية فصيحة ومتقنة اندهشنا منها ، كما لاحظت اذ ذاك معنا فى المجلس عدة أساتذة سوسيين يمكنهم الأستاذ المختار من بعض الكتب للتلاوة العربية الواردة من الشرق العربى ، ويزودهم بتعليمات وتوصيات قيمة ، بوجوب السهر على الاعتناء بتلقين مبادىء العربية للتلاميذ طبق مناهج تلك الكتب ، والتدريب عليها ودراستها بامعان وتدبر ، والغريب اننى عرفت فيما بعد **ان جل أوائك الاخوة الضيوف بالمدرسة من علماء سوس : قيمون على زوايا الشيخ الحاج والده ، وكلها اصبحت مدارس تلقن العلم والأدب وتنشر اللغة العربية فى تلك الاصقاع السوسية ،** يلقحها هذا العبقرى الفذ بكل جديد من طرق التعليم العربى الحر الاسلامى .

أجل تراجعنا للحديث عن تلك الفترة التى كنا نعمل فيها سواسية على بث الشعور الوطنى ، بكل جهات المغرب ، وما كنت أحسبنى أعرف جهود هذا المواطن العظيم ، الذى يعمل فى هدوء وسكينة وتحت الستار وبدون بهرجة لأحياء المشاعر وتجديد فكرة النهضة الفكرية والعلمية والادبية والوطنية .

نعم كنا نجهل الكثير عن بلاد سوس الحبيبة ورجالاتها العلماء الأوفياء ، وكنا نجهل الكثير عما فى هذه البلاد العظيمة من مدارس وعلماء اعلام ، وفطاحل الكتاب والشعراء ، والعلماء الكبار . وما قدمت أيديهم من مؤلفات فى شتى فنون العلم والأدب والمعرفة ، كنا نجهل المشاريع الثقافية العظمى التى يسهر عليها حراس الأمجاد التاريخية ماجدا عن ماجد ، فى بلاد سوس العظيمة .

وهنا رجعت بى الذاكرة الى سنة 1960 اى بعد مرور ربع قرن على الزيارة لمراكش واتصالى بالاستاذ البار **الشيخ المختار الالفى ،** فتذكرت

اننى حضرت لأستقبال صاحب الجلالة محمد الخامس **رضى الله عنــــه** مندوبا عن حزب **الشورى والاستقلال** . وذلك بالمطار المدنى **للطيران بمدينة سلا** فى هذا الاستقبال تقابلت صدفة مع الاخ العزيز والصديق الوفــى العالم الاديب **وزير التاج، او تاج الوزراء المختار الالفى فأخذنى معه لسيارته** وتمشينا فى ركاب صاحب الجلالة حتى بلغنا قصر السلام **بسلام** ، ومنه انطلق بى لبيته العامر ، حيث اكرمنى ووفى وذلك بالهدية العظمى التــى اتحفنى بها **خمسة اجزاء من كتابه الجديد ((المعسول)) مع ثلاثة اجزاء من مؤلفه القيم)) ((الالفيات))** .

وقال لى ايها الاخ العزيز . . . . أقدم لأخوتك نماذج من علماء سوس ، وادبائها واذكرك بالزيارة التى تكرمتم بها لبيتى أنتم جماعة الأوفياء لمراكش سنة 1936 وارجع بكم الى الحديث عما كنت قلت لكم اذ ذاك : ان الاستاذ الأديب مؤلف كتاب **الادب العربى فى المغرب الاقصى محمد بالعباس القباج** غلط غلطا عظيما ؛ حيث ترجم للعبد الضعيــف . وتعرض الى ان احــد **شباب سوس يقرض الشعر باللغة العربية ويجيده** ، وكأن بلاد ســوس لا تعرف العربية ، ولا تتذوق الأدب العربى وتقرضه ، فعليك ان تطالــع هذا الكتاب **((سوس العالمة)) لتتعرف على حقيقة سوس ومدارسهــا وعلمائها وشعرائها قديما وحديثا ، وان الاخ المؤلف يجهل حقيقة سوس ! ؟ وقد وفقنى الله فاهتديت الى تاليف هذه الكتب فى تاريخ بــلاد سوس ، وما فيها من فطاحل العلماء والكتاب والشعراء ، ونرجو الله ان يتهيأ الابناء لاحياء مآثر الاجداد وانتهت هذه الزيارة** .

هكذا عرفت الاستاذ الالفى السوسى طيلة حياته ، يلقح شبيبة البلاد السوسية **بالوعى الوطنى ، والأدب العربى ، والتشريع الاسلامى** ، حيث تخرج عنه عدة **ادباء كبار ، وشعراء نبغاء** ، وادخر للخزانة العربيــة الاسلامية عدة مؤلفات قيمة فى شتى أنواع المعرفة ، **تاريخ مجهول** ، لدينا عن محيط بلاد سوس العظيمة ، **مدارس علمية ، بلغت القمة ، فى التقدم**

والازدهار ، حيث كانت تعقد سنويا سوق ((الأدب العربى)) ، وكأنه ((سوق عكاظ)) يتبارز فيه الطلاب السوسيون ، ويتناظرون تحت اشراف علماء اجلاء ، وأدباء غطارف ، الشيء الذى لم يكن يخطر فى بالنا ، او نتصوره حتى فى الخيال ، بل لا يوجد له نظير بمغربنا ؟ !

وزير التاج — أو تاج الوزراء حرى بالاكبار والاجلال ، وتخليد أعماله الجليلة ، وخدماته الجلى ، وكفاحه المرير ، فى كل الميادين ؛ فهو بحق ، شخصية مغربية فذة رحمه الله واثابه . وهيأ لهذا البلد الامين من يقتدى بهذا العالم الخالد ، فالكثير من نواحى المغرب تجهل تاريخه وامجاده ، والامل معقود على شبيبة هذا العصر . المتزود بالعلم والعرفان .

فالجامعات المغربية اصبحت تتحفنا بين الأونة والاخرى ، برسائل علمية ، تكشف حقائق تاريخية ، أو علمية ، أو جهادية ، عن تاريخ المغرب قديما وحديثا .

واقلام بارعة وافكار ناضجة ، وتراجم حافلة ، وأمجاد ضائعة اصبحنا نتغذى بها الفينة بعد الفينة .

وختاما رحم الله الشيخ العلامة الأديب المجاهد المكافح الاستاذ المختار رضى الله الالفى السوسى ، وانزله منزلة الصديقين من عباده الأوفياء ودام ذكره فى الخالدين .

سلا — الحاج احمد معنينو

حياة محمد المختار السوسي
في سطور

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

ولد بـ « الغ » سوس عام 1318 هـ تعلم القرآن هناك ، وشرع في تعلم الدروس العلمية بمدارس سوس أولا .

ـ دخل مدينة مراكش للدراسة بها عام 1338 هـ

ـ ورحل لفاس بقصد الدراسة بها ـ 1343 هـ

ـ ثم رحل للرباط بقصد القراءة بها ـ 1346 هـ

ـ رجع لمراكش معلما ومدرسا ـ 1348 هـ

ـ نفي من مراكش لسوس 28 حجة ـ 1353 هـ .

ـ عاد لمراكش بعد النفي الاول اواخر ـ 1364 هـ

ـ حج بيت الله عام ـ 1365 هـ

ـ زار تونس عام ـ 1367 هـ

ـ سكن بالدار البيضاء عام ـ 1370 هـ

ـ اعتقل من البيضاء عام ـ 1372 هـ

ـ عين وزيرا للأحباس والشؤون الاسلامية عام ـ 1375 هـ

ـ مكث بها احد عشر شهرا وسمي « وزير التاج » وتوفي في هذه الوظيفة 29 جمادى الثاني 1383 هـ . (17 نونبر سنة 1963 م) .

ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط جوار علال بن عبد الله ـ رحمه الله.

الأستاذ المختار السوسي
قبل النفي الأول

للأستاذ محمد ابراهيم الدفالي

يقولون ان التاريخ ضنين وان ما يستأثر بعلمه ويطويه فى غضونه أضعاف مضاعفة بالنسبة لما يجود به عن قصد وعن غير قصد وكنا نقرأ تحسرات المؤرخين وتأسفاتهم على البتر الكبير فيما يجدونه بين أيديهم من الوقائع والتراجم والحالات مما يجعل حكمهم على كل ذلك ضنيا وتخمينيا ومن قبيل الحدس والصدف وكنا لا نأبه لهذه التحسرات والتأسفات ولا نحس بما يشعرون به حتى رأينا التاريخ الذى عشناه وكنا أعضاء فى مسرح حياته يؤلف بالطريقة التى يكتب بها التاريخ المبتور حينذاك عرفنا ما كان يشتكى منه علماء التاريخ وعلمنا ان تحسراتهم وتأسفاتهم لها ما لها من الاهمية ورأينا من الواجب ان نعمل على تلافى ما أغفلته اقلام الكاتبين الحاليين من غير أن نتعرض للاسباب التى حدت بهم ودعتهم لذلك ، رائدنا فيما نوخيناه خدمة صالح فن التاريخ وتنوير أذهان الاجيال المقبلة فيما يمكن ان يكون قد اغفلته بعض الاقلام لسببما ونحن اذ نتناول هذا الموضوع لا نقصد كاتبا بعينه أو مؤلفا خاصا بل نشكر اولئك الذين تفضلوا فضحوا بالغالى من أوقاتهم فى سبيل اسعاد الاجيال المقبلة رغم ما يجدونه من صعوبات الحصول على المراجع الكافية والعثور على ما يتطلبونه من تدقيقات وتحقيقات فى الموضوع فلهم العذر كل العذر .

ومن الموضوعات التى نالها بعض البتر فى بعض المؤلفات الجديدة رجال الوطنية فى مراكش وكان من المفروض على من اراد أن يتناول موضوعا بالكتابة والتحليل ان يستقصى الموضوع من جميع جهاته ليكون العرض والتحليل ضافيين تامين خصوصا وأن كثيرا من حضروا الوقائع وعاشوا الاحداث ما يزالون احياء يرزقون .

لقد اعتاد الكتاب والمؤرخون أن يبحثوا عن مظاهر العظمة فى

الشخصية المتحدث عنها ويبرزوها للقراء حتى اذا وجدوا ناحية أو عثروا على جهة تبعث على الاعجاب ولو كانت جد ضئيلة مططوها واقبلوا عليها بالمبالغات والمضاعفات واضفوا عليها مما عندهم من البيان والتصوير هالة فضفاضة لتظهر عظيمة من جميع الجوانب أما الشخصية التى نريد ان نتحدث عنها فهى لا تحتاج الى شىء من ذلك فالعظمة والاعجاب يبرزان فى كل ناحية من نواحيها تلكم هى شخصية الاستاذ الكبير والمصلح العظيم والداعية المحبوبة سيدى محمد المختار السوسى رحمه الله .

ولد الاستاذ المختار السوسى سنة 1318 هجرية بايلغ وهى قرية تبعد عن تزنيت بنحو 84 كلم فى عائلة دينية علمية من والده الحاج على الدرقاوى الذى كان رئيسا للطريقة الدرقاوية السليمة مما وقع فيه كثير من الطرق التى استغلها الاستعمار فى كثير من أغراضه .

وكان والد استاذنا على جانب عظيم من العلم خصوصا الناحية الصوفية وعلم الباطن تشهد بذلك رحلته الشعرية الطويلة الى الشرق بقصد اداء فريضة الحج وهذه القصيدة تبلغ نحو الفى بيت من الرجز يذكر فيما باسهاب جميع ما رآه من البلاد التى حل بها ويذكر فيها مذكراته وملاقاته مع أعلام البلاد الاسلامية ويحذر فيها المسلمين من الاستعمار الغربى ويدعو الى الجهاد أينما حل وارتحل .

من هذه البيئة انحدر استاذنا المختار وتلقى دروسه الاولية بقرية ايلغ على والدته كما تلقى مبادىء العلوم على شيخه الاستاذ عبد الله ابن محمد كبير علماء قرية ايلغ ولما أتى على ما فى كنانة الالغيين قصد مدرسة الشاعر الفحل والعالم الكبير سيدى الطاهر الافرانى الذى شحذ قريحته وصقل ملكته وحبب اليه الآداب وسهل له ركوب متن القوافى وقرض الشعر مما جعل أستاذنا يقبل على حفظ عيون الادب والتضلع فى اللغة ودراسة أيام العرب وانسابهم زيادة على ما كان يتلقاه من الفنون الاخرى غير ان ميله الفطرى كان نزاعا الى الادب وان كان هو يحاول ان يخفى هذا الميل وبعدما كرع من مدرسة الافرانى ما جعله يعالج قرض الشعر وينظم المقطعات تاقت نفسه الطموح الى الاستزادة فقصد مدرسة السعيدات حيث كان الاستاذ الكبير مفخرة السباعيين مولاى عبد القادر ابن العربى فقضى فيها اياما يرشف من معينها الفياض ما ينقع غلته ويطفىء عطشه ثم قصد مراكش سنة 1338 هجرية ليكرع من معين علمائها ومشايخ جامع بن يوسف فلازم دروس مشايخ السراغنة وغيرهم واخيرا قر عزمه على ملازمة دروس العلامة قاضى الحمراء سيدى محمد ابن لحسن الذى اخذ عنه الشىء الكثير غير أنه كان يسمع أن فاس

مدينة العلم تزخر بالاعلام والفطاحل ويتخرج منها العلماء والادباء فقر عزمه على مغادرة مراكش الى فاس فحل بها سنة 1343 هجرية وهو يردد قول الشاعر :

تنقـــل فلذة الهوى فى التنقـــل ورد كل صفو لا تقف عنـــد منهل

ففى فاس وجد ضالته وحصل على مبتغاه وظل يتنقل من حلقة الى حلقة وينتقى من المشايخ من يلقى اليه بزمامـــه ويختاره لقيادته فألقـــى عصا التسيار فى حلقة الشيخ الكبير والعلامة النحرير سيدى محمد بن العربى العلوى رحمه الله الذى أعجب به أيما اعجاب فلازم دروسه التى كانت تهيمن عليها الفكرة السلفية .

وهناك كانت النواة الاولى للحركة الوطنية حيث تكونت فى فاس جمعيتان احداهما ثقافية وعلى راسها الاستاذ المختار والاخرى سياسية وعلى رأسها الاستاذ علال الفاسى واخذت الجمعيتان تعملان فى خطين متوازيين على توعية الشعب وتوجيهه نحو المطالبة بحقوقه وسيادتـــه فاطمأن الاستاذ المختار ايما اطمئنان لهذه الحياة التى غيرت مجراه وبدلت المختار الذى عرفناه فى ايلغ والسعيدات ومراكش مختارا آخر فاستمع اليه يصف نفسه بعد حلوله بفاس :

« ثم لما حللت بفاس أتى الوادى فطم على القرى فبدلت أخلاقا غير التى عهدت من نفسى قبل وأنا فى مراكش واحواز مراكش فقد تلقحت فى جو فاس بما لو لم أتلقح به لما كانت لى فكرة ولا تحركت فى همة ولا نزعت بى نفس عزوف تقول بملء فيها » :

لـــى همـــة عـــاليـــة فـــذة طموحهـــا ليس لـــه منتهـــى
لـــو ملكت كل الثـــرى لاعتلـــت الـــى امتـــلاك ســـدرة المنتهـــى

تكونت لى فى فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة وبين الروحانيات الربانية كما نبتت فى غيـــرة وطنية نسيت بهـــا نفسى ومصالحى الشخصية فأعددت نفسى فداء لدينى ووطنى ولامتى التى هى امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين الفكرة والغيرة اسبح فى آداب حية طلع بها العصر الحديث فصرت اقرا من نثر المنفلوطى وفريد وجدى ومحمد عبده واضرابهم ومن شعر شوقى وحافـــظ ومطـــران وامثالهم ما عرفت به ان الذى كنت أسبح فيه منـــذ صغـــرى ليس الا ضحضاحا كدرا لا يبرد عطشا ولا ينقأ غلة ولا يقضى على لهفة » اه .

هكذا كانت اعترافات الاستاذ فى جميع احواله فما كانت الكبرياء والعصبية لتجدنا سبيلا الى قلبه الطيب ، وما كاد يقضى عدة شهور بفاس حتى استمال اليه كثيرا من الطلبة الفاسيين وغيرهم بلطافته المعهودة ولباقته الطيبة وساعده على ذلك تمكنه من اللغة وشواردها والنحو والصرف ومعرفة اوزان الشعر وضروبه فكان بيته فى المدرسة ناديا لزعماء الحركة الوطنية حيث كانت تجرى به المساجلات الشعرية والمقابلات الادبية ويتدربون فيه على الخطابة الحماسية ولقد أتاح الله لهذه الطائفة فرصة كانت اولى فرصهم ضمت اليهم كثيرا من الذين كانوا يتحفظون من موقف هذه الجماعة تلك هى المحنة الاولى للوطنيين فى المغرب بعد الاحتلال الفرنسى حيث شرع الاستعمار فى تطبيق المخططات التى تواعد عليها ذئاب اوروبا وهى صهر الدول المستعمرة فى بوتقتهم وادماجهم فى غربيتهم والقضاء على العقيدة الاسلامية التى توحد الدول العربية وذلك ليتأتى لهم أن تصبح هذه البلاد قطعة من أوروبا يأمنون فيها مضايقتهم ويقتلون فيها روح الغيرة والطموح .

غادر استاذنا فاس مكرها بعدما تعاهد مع اخوانه الزعماء على المضى فى الكفاح ونشر الوعى والثقافة بين أفراد هذا الشعب المنكود وحل مدينة الرباط سنة 1347 فلازم دروس ابى شعيب الدكالى ولم يمض غير قليل حتى احتل استاذنا المكانة الاولى فى صفوف حلقة الشيخ المذكور الذى اعجب بهذا الطالب الجديد الذى يناقش فيصيب وينتقد فيجيد مما حببه الى الشيخ وقربه وصار يعتمد أفكاره وتقريراته كما كان يحضر كذلك دروس شيخه العلامة تحفة العصر ووارث ابن عبدون فى الحنظ والاملاء الشيخ سيدى المدنى بن الحسن رحمه الله ودروس شيخه الكبير المفكر الاستاذ سيدى محمد السائح وصار يلتهم كل ما يروج فى دروس الشيوخ المذكورين الذين فارق الاستاذ فاس من اجلهم فاستمع اليه يقول عن هذه الرحلة :

« ثم لما أبت من فاس وقد ألمت بالرباط حيث احتقبت علوما وفهوما وانظارا وبحوثا لم اقع عليها الا فى الرباط وفى مشايخ الرباط » اهـ

ولقد استطاع الاستاذ بدماثة أخلاقه ومرونة طباعه أن يخلق له جوا يجانسه فى الرباط وان يكسب اصدقاء جددا وأن يفتح اندية فى الرباط رغم صعوبة ذلك وتلك خاصية فى استاذنا نعرفها فيه يتلاءم مع كل بيئة ويجانس كل فيئة يكايس صعب المراس حتى يلين ويخالق الصلف المغتر حتى يسلس ويطيع ولقد خفت صوت بلبلنا الصداح مدة اقامته

فى الرباط فلم نعد نسمع تلك القصائد التى كانت تهز فاسا والفاسيين وتلهب الشباب حماسا فيخف للعمل ولا غرو فجو فاس غير جو الرباط بل نجد استاذنا اقبل على التحصيل والبحوث العلمية خصوصا منها البحوث الحديثية التى يجد اليها ميلا كبيرا حتى اذا أشبع نهمه وملأ بعلومها حقائبه رأى أن يحقق رغبته وأن يطبق الفكرة التى عاهد عليها اخوانه زعماء الوطنية بفاس وهى احياء الجنوب وتوعية الجنوب وتثقيف الجنوب وهكذا ودع الاستاذ الرباط وودع بوداعه ايام الدراسة والطلب وولى وجهه شطر مراكش ، وقبل أن نصف حلول الاستاذ بها يجمل بنا ان نعطى نظرة على مراكش فى هذا الظرف بالذات لنستطيع أن نتعرف على مدى الاخطار التى اقدم عليها استاذنا .

لقد وجدت فرنسا مقاومة فعالة فى الجنوب المغربى لم تكن فى حسبان المستعمر وبما أن مراكش عاصمة الجنوب ركزت فرنسا جميع قواتها ودبلوماسيتها فى الجنوب المغربى واطلقت أيدى اذنابها فى اقليم مراكش تعثوا فسادا وتسهر على مصالح الاستعمار فى المنطقة مما جعل مراكش المسكينة تنفصل عن باقى مدن المملكة وتعيش تحت رحمة الجلادين المرتزقة الذين أمعنوا فى التنكيل والتعذيب وعملوا على محو عربية هذه المنطقة وفصلها عن باقى مناطق المغرب حكما وسياسيا وعسكريا وذلك خشية ان يتسرب لها ما أحسه الاستعمار فى فاس من الوطنية والحركة القومية والادبية التى بدات تنتشر شيئا وتغزو باقى البلاد خصوصا بعد الانتصار الذى احرزته الثورة الريفية برئاسة الزعيم المرحوم ابن عبد الكريم الخطابى وتفاديا لكل خطر ينجم عنه اشتعال حركة مقاومة فى الجنوب خصوصا فى جبال الاطلس الكبير فقد احتاطت فرنسا احتياطا يجعلها فى تأهب دائم واستنفار متوقع لما عسى ان يحدث فبنت القلاع والثكن فى مراكش ووجهت أفواه المدافع العظيمة من حصن جليز الى هذه المدينة واثقلتها بالجيوش المجلوبة من فرنسا والسينغال والسودان وساحل العاج والتشاد وغيرها وأوعزت الى أذنابها بترويج سياسة القمع والافقار فاستغل كثير من هؤلاء الاذناب هذا الجو الخانق فأطلقوا ايديهم فى المواطنين فأمعنوا فيهم قتلا ومصادرة الاموال بمرأى ومسمع من فرنسا وهى لا تحرك ساكنا ولا تسمع صراخ المستغيثين ما دام كل ذلك فى صالحها وهذا الجو الخانق صرف المراكشيين عن التفكير فى مقاومة الاستعمار وحال دون أى جو أدبى او سياسى يهديهم الى التكتل وجمع الكلمة ورفع صوتهم بما يجرى داخل المنطقة زيادة على ما تتردى فيه المدينة من جهل مطبق وفراغ ثقافى مهول فالمدارس الابتدائية لا تكاد

تتجاوز عدد الكف وهذه المدارس كلها فرنسية المدير فرنسى والمعلم فرنسى وليس للعربية فيها الا حصة قليلة جدا لا تكفى حتى لحفظ بعض الآيات القرآنية وليس بالمدينة اية مدرسة ثانوية .

فى هذا الجو الخانق المكهرب وفى هذا الفقر المدقع وفى هذا الجهل المطبق حل استاذنا مدينة مراكش سنة 1348 هجرية وهو لا يجهل كل هذه الاجواء ولا يجهل أن مراكش تعيش فى قبضة استعماريين قويين استعمار جلاد مراكش الذى أخذ بخناق المدينة بيد من فولاذ زبانيته منبثة فى كل حى وفى كل درب والمواطنون تحت رحمة المقدم (والجارى) وصاحب الدور ولا يمكن بحال ان تصدر اية حركة ولو بسيطة دون ان تبلغ فى حينها الى آذان الجلاد واعوانه والاستعمار الثانى هو فرنسا التى أحاطت المدينة بهالة من القوة المسلحة ترهب بها الاشباح الجائعة وتنفذ فيهم الاحكام القاسية التى يصدرها الجلادون والاذناب فى حق المواطنين حل أستاذنا هذه المدينة التى تعهد وهو فى فاس على أن ينتشلها مما هى فيه فاستمع اليه وهو يحدثك بنفسه عن حلولها قال :

« حللت بالحمراء وقد القيت فيها مرساتى وانوى أن اقضى الواجب على لدينى ولوطنى ولشعبى ما بين تلميذ يهذب وبين درس وارشاد يلقى وانا فى جانب ذلك أناجى اليرع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة من احياء ما اندثر من آثار ماضيها ومن المحافظة على العربية الفصحى التى أراها اذ ذاك فى انهيار ففى هذه الميادين الثلاثة قضيت ازمانا تكشفت عن أعمال كان فضل الله على فيها عظيما » اهـ .

حل أستاذنا مدينة مراكش وواقعها فوق ما وصفت فكيف أذن وهو الغريب الوحيد يستطيع ان يقلب هذه الاوضاع وكيف يحيى هذه الافكار التى رنا عليها الجهل والجمود وبأى لسان يخاطب هذه الاوساط التى هى أبعد ما تكون عن الوطنية وعن الشعور ، وما هو الاسلوب الذى يمكن أن يتخذه مع جيوش العيون وفيالق الجواسيس المنبثة فى كل مكان، وكل حركة يقوم بها فى هذا الاتون يكون مآلها الفشل ويقضى عليها فى المهد ، والجلاد وزبانيته بالمرصاد ففكر وهو بين الفقراء يتغنون بذكر الله فى زاوية والده ان يجعل من هذه الزاوية على صغرها مدرسة لتلقى العلوم والوطنية وسيقتنع الفقراء بأن الدين الحقيقى ورضا الله سبحانه فى نشر العلم وتلقين الاطفال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدشن المدرسة بأطفال أسرته وجعل برنامجها كالتالى :

حفظ القرآن عن ظهر قلب . اللغة من نحو وصرف وبلاغة . الادب :

حفظ قصائد من عيون الادب كلامية العرب والعجم وبائية أبى تمام وسينية البحترى ونونية ابن زيدون وشرح ذلك وقراءة الكامل للمبرد - الفقه : رسالة القيروانى ومنظومة ابن عاصم والمختصر للشيخ خليل والقوانين لابن جزى . والحديث : الاربعين النووية والموطأ لمالك وبلوغ المرام والجامع للبخارى . والاصول : الورقات أصول الخضرى . ويخصص صباح يوم الجمعة للانشاء والخطابة والتلاوة وهناك دروس أخرى للتاريخ والجغرافية والحساب وغيرها وما هى الا ايام قلائل حتى تقاطر التلاميذ على المدرسة الجديدة من جميع انحاء البلاد وضاقت هذه المدرسة لما غدت وفود الطلبة تتوارد عليها من جميع النواحى من سوس والصويرة والبيضاء وآسفى ومن الاحواز مما دعا أستاذنا أن يعمل على توسعة المدرسة وان يكثر غرفها وطبقاتها حيث أصبحت المدرسة داخلية تأوى كثيرا من الطلبة الذين يعجزون عن ايجاد مآوى خارجية وكان رحمه الله يقوم باطعام هذه الوفود من الطلبة ويكسو الفقراء منهم ويمدهم بما يحتاجون اليه من كتب وأدوات مدرسية وبما تقوم به حاجياتهم من نظافة واستشفاء من ماله الخاص ولقد أدهش هذا العمل سكان مراكش وبعض علمائها الى حد قولهم ان الاستاذ المختار يسخر فى اعماله الدراسية كثيرا من المرادة والجن ثم تاقت همته الى فتح مدارس أخرى فى مراكش على غرار مدرسته التى بدأت تؤتى أكلها والحمد لله فعمل على جمع كلمة علماء مراكش واتحادهم فكون منهم جمعية متألفة متحدة رغم اختلاف مشاربهم وتنافسهم وأوعز لهم بأن يفتح كل واحد منهم مدرسة يؤدى فيها رسالته وسهل لهم الخطة وتعهد بأن يقدم لهم العون المادى والادبى ويذلل لهم الصعاب والعراقل فاستجابوا لذلك وفتح من جديد مدرسة أخرى على غرار المدارس الجديدة جعل على رأسها اخاه الاستاذ ابراهيم الالفى وما هى الا أيام قلائل حتى أصبحت المدارس الحرة فى مراكش عشر مدارس يتلقى فيها أبناء مراكش ما كانوا يحرمون منه فى المدارس الرسمية ونظم الاستاذ فى كثير من مساجد مراكش وأضرحتها دروسا حية للطلبة وارشادية للعوام تتناول هذه الدروس بعض الفنون المنوعة كالآداب الحى والتاريخ والجغرافية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل على خلق سوق أدبية عربية تعقد عشية كل يوم الاربعاء تلقى فيها عدة قصائد فخرية وحماسية يتبارى فيها التلاميذ ويتفاخرون بما يحرزونه من تقدم فى الدراسة وبما يتوفرون عليه من ذكاء ومواهب وملكات وبما تشتمل عليه أسرهم من مجد وصلاح ، كثير من هذه القصائد نظمها الاستاذ على لسان التلاميذ وقدمت لهم كجزاء على ما أحرزوه من تفوق أو على

اثر عقاب ناله بعض المقصرين تطبيبا لقلوبهم ومسحا لدموعهم ولقد حضر هذه السوق كثير من أعلام الآداب فى المغرب كالزعيم علال رحمه الله وسيدى محمد بن العربى العلوى وسيدى محمد بن اليمنى الناصرى الذى أهدى لهذه السوق نشيده المشهور فى القرآن الكريم :

« روحنا القرآن روح » كما حضرها المؤرخ الكبير مولاى عبد الرحمن ابن زيدان والاستاذ عبد الهادى الشرايبى وغيرهم من الاعلام فكانـــوا يهنئون الاستاذ على هذه الظاهرة الفريدة فى المغرب بل الفريدة فى العالم العربى وكانوا يتمنون من صميم افئدتهم أن تعمم هذه الطريقة فى جميع المدارس لتثقيف الشباب ثقافة عربية أصيلة تربى فيهم الاعتزاز بأمجادهم وماضيهم وتنمى فيهم الاريحية والشهامة والدفاع عن القيم الاسلامية وقد اجتمع من هذه السوق ديوان شعر كبير أسماه الاستاذ « الرميليات » نسبة الى الحى الذى توجد فيه المدرسة وفى هذه الحقبة بالذات بلغت شاعرية الاستاذ اوجها حيث تبواه عرش امارة الشعر بمناسبة قصيدته التى قالها فى ذكرى مرور الف سنة على وفاة المتنبى والتى مطلعها :

هزت قبـــور بنـــى حمدان فى حلبا   ذكرى تسابق فيا السن الادبا

فسخر هذه الشاعرية فى نشر الوعى واذكاء الحماس الوطنـــى فى البلاد مدة كانت عين الدهر عنه نائمة وجماعة الحساد عنه مشتغلـــة والمستعمر صرف همته لاحتلال ما بقى من الثغور المغربية وهو يعمل فى صمت وخفاء ويواصل الليل بالنهار ويهيب بالطلبة ان يقطعوا الاشواط فى سرعة قبل أن يتفطن لهم الاستعمار ولم تكن فراسة الاستاذ لتخطىء فقد ابلغت الاستعمار عيونه وأذنابه أن المختار أصبح خطرا على هذه البلاد الآمنة المطمئنة حينذاك جند الاستعمار أعوانه وأذنابه واوعز الى كثير من المتطلفين على الطلب والعلم أن ينحاشوا بين صفوف الطلبة ويحصوا على الاستاذ اقواله واعماله ولم تخف هذا على الاستاذ الذى اصبحت دروسه عظيمة صار يحضرها كبير خلفاء باشا المدينة كما أوعز الاستعمار الى مدير صحيفة الجنوب المغربى التى تصدر بالفرنسية والتى كانت تخدم الوجود الفرنسى فى البلاد أن يراقب حركة طلبة مدرسة المختار التى يسكن بقربها وبالفعل صارت الجريدة المذكورة تتبع حركـــة المدرسة المختارية وتنشر ما تقوم به من نشاطات ولقد طلعت الجريدة يوما وهى تقول أن مدرسة محمد المختار السوسى لاخطر بكثير علـــى الحكومة من ثكنة عسكرية فيجب التنبه لها والاحتياط منها واحس استاذنا بمضايقة عظيمة داخل المدرسة وخارجها وقد انحاش بعض العيون فى الجمعية التى تسير المدارس بقصد المشاركة والتعاون وكان اول تدخل

من الحكومة فى شأن الاستاذ المختار ان طالبت منه ومن بقية العلماء الادلاء برخص المدارس فصرحوا بأن مؤسساتهم لا تحتاج الى رخص لانها لا تعدو أن تكون كتاتيب قرآنية معفاة من الرخص ولكن هذا التبرير لم يكن ليقنع الاستعمار الذى كان يعرف كلما يجرى فى هذه المدارس التى كانت بحق ثكنا لتخريج أفواج الوطنيين وجنود المقاومة وظلت الحكومة تطالب بادلاء الرخص أو بطلبها فيتعين حينئذ توفير الشروط التى تفرضها الحكومة وظل المختار وجماعته يراوغون ، والسلطة تطالب وتضيق الخناق ، واخيرا جندت الاعوان والقضاة لمطالبة المختار بتولى خطة القضاء نظرا لنزاهته وغزارة علمه فاستدعى مندوب الحكومة فى العدلية الاستاذ المختار واطلعه على طلب القضاة والاعيان وحاول اقناعه بقبول هذه الوظيفة السامية التى لا تتأتى لمطلق العلماء بل لا ينالها الا المحظوظون منهم فرفض الاستاذ ذلك مبررا رفضه بكون القضاء خطة تتطلب الالمام بها وطول التجربة والتدرج من العدالة والنيابة وهو غير ملم بشىء من ذلك فاغلظ له المندوب القول ظنا منه ان استخدام الضغط والقوة يلينان من عريكة الاستاذ ولكنه شده حيث رأى أن ضغطه لا يزيد الاستاذ الا امعانا فى الاباء والرفض فودعه وهو يحذره مغبة تعنته ورفضه أوامر الحكومة وطلب الشعب ، ثم استدعاه ثانيا لكنه هذه المرة غير اسلوبه فى الاستقبال والمحادثة واخبره أن الحكومة تجله وتراه اهلا لكل حظوة واحترام وأكبر دليل على ذلك انها وافقت على المقترح الذى تقدم به قضاة البلاد وهو كرسى التحديث بجامع الكتبيين ولم تكن هذه الموافقة فى الحقيقة الا تمهيدا وتدرجا لقبوله خطة القضاء التى ستصرفه عن عمله الذى يهدد الاستعمار فى البلاد ولكم كانت دهشة المندوب لما اجابه الاستاذ فى سذاجة وبداءة انا لم أتقدم بطلب كرسى أو غيره ولكى يبقى الاستاذ على خط الرجعة خصوصا وأن هذا الكرسى سوف يمكنه من الاتصال بالشعب رسميا ويفسح له المجال لتوعية الشعب أكثر استرسل قائلا نعم وما دامت الحكومة هى التى انتدبتنى لهذه المهنة فاننى امتثل الامر ولا ارفض ما تراه الحكومة صالحا فانطلقت أسارير المندوب وظن أن المختار الساذج البادىء غير رأيه واصبح اباؤه يسلس ورفضه يتبخر وانه اصبح فى عداد العلماء المسخرين. وفى سنة 1355 هجرية تكونت جمعية خيرية للاحسان وايواء الاطفال والمساكين على غرار الجمعيات الخيرية فى الرباط والبيضاء فأوعز الكلاوى الى اعوانه واذنابه بأن يعملوا على ان يتولى المختار رئاسة هذه الجمعية ولم يكن ذلك حبا فى نزاهة الاستاذ وصلابته واستغلال مكانته وحظوته للجمعية بل كان السر فى ذلك هو ان يرمى المسيو (كوجى) رئيس البلدية

اذ ذاك هذا الفرنسي المتغطرس الذى اذاق مراكش الوانا من العـذاب والفساد اراد الكلاوى أن يرميه بالاستاذ الذى يعرف صلابته وصراحته وكراهيته للمستعمر وذلك على اثر شنآن وقع بين الكلاوى وكوجى المذكور فحاول الاستاذ التملص من هذه المصيدة التى كان يعرف الغاية منها ولكنه حاول عبثا مع الشعب والعلماء والاعيان الذين يرون ان فى قبوله لهـذه الرئاسة حماية ومصلحة لهذه الجمعية فقبل على كره ومضاض وهو يعلم ان المباراة والمقابلة بينه وبين كوجى المتغطرس تحاك وتهيأ وسوف يكون هو ضحيتها وانس للشعب أن يعرف هذه الادوار السياسية وفعلا بـدا الموقف يتأزم بينه وبين كوجى من بداية العمل حيث كان يعمل كوجى على الاستحواذ على صندوق الجمعية واراد ان يكون هو المتصـرف المطلـق فعارضه الاستاذ فى ذلك منطلقا من أن الجمعية أهلية مراكشية والمـال اهلى مراكشى يجب أن يكون الصندوق بين يدى افراد مراكشيين كمـا وقعت مشادة اخرى فى كثير من قضايا الجمعية فهال كوجى أن يرى ولاول مرة فى حياته مغربيا صلبا يقول بملء فيه (لا) فثارت ثائرته واصبح حديثه مع (بيتاليس) مندوب الحكومة فى العدلية صلابة المختار وخطر المختار وزاد فى الطين بلة ان الخطب التى تلقى من طرف الاستاذ بخصوص الجمعية لا تذكر فيها الدولة الحامية كما يذكر ذلك غيره ويطنب فى الشكر والثناء وقد استغل الكلاوى الذى كان يظهر للاستاذ الاجلال والاحترام ويخفـى فى صدره ما يجب أن يضمره أذناب الاستعمار للمصلحين خصوصا مـن امثال الكلاوى فصرح فى ملا من فرنسا بأن المختار يجب ابعاده من مراكش والا نالنا منه ما نالت فاس من علال والوزانى والرباط من بلافريج واليزيدى وغيرهما ولقد بلغت هذه القولة فى حينها الى الاستاذ الذى تيقن أن بقاءه فى مراكش مستحيل وانه سيفارق عن قريب اخوانه وتلامذته الذين ما زالوا فى اشد الحاجة الى وجوده بينهم فأصبح يستحث الطلبة على الاجتهاد اكثر من كل زمن مضى ويقول فى تلميح لهم وتلويح ان ساعة الفراق لتقترب منا شيئا فشيئا فكونوا رجالا وعضوا على ما درستموه وما تلقيتموه مـن وطنية بالنواجد وكانت تصحب عباراته هذه عبارات يحاول أن يخفيها .

وفى يوم الخميس 28 ذى الحجة من سنـة 1355 كانت الفاجعـة الكبرى والمصيبة العظمى التى اصابت مدينة مراكش حيث فوجئت باختطاف المختار السوسى الذى قضى سبع سنوات يعلم جاهلها ويوعى غافلهـا ويهدى ضالها ويعين فقريها ويذلل الصعاب أمام طلابها ويشجع علماءها ويعول اكثر من خمسين طالبا يوميا فى ظرف حرج جدب استعصى العيش فيه حتى على الاغنياء . جاء عون الكلاوى فى الصباح الباكر فطلب مـن

الاستاذ أن يصحبه لدار الباشا الذى يريد مذاكرته فى شيء يهم الجمعية الخيرية فصاحبه الاستاذ ولما وصل دار الباشا وجد هناك سيارة تنتظره فأدخل السيارة بأمر من العون وجلس بين شرطيين وانطلقت السيارة صوب الجنوب فعلم الاستاذ ان ما كان يعمل عليه الكلاوى قد نفذ وكان الاستاذ على موعد مع درس الادب الاسبوعى الذى يحضره زيادة على كبار الطلبة بعض علماء البلاد حيث كان الدرس يتناول شرح قصيدة من عيون الادب وقراءة بعض أبواب كتاب الكامل للمبرد فانتظر الطلبة والعلماء اياب الاستاذ حتى الساعة الثانية عشرة ولم يتحققوا من نفى الاستاذ الى مسقط راسه الا فى اليوم التالى يوم الجمعة 29 ذى حجة حيث فوجىء الطلبة بالخبر المفجع وعلموا أن ما كان يتوقعه الاستاذ طيلة سنة 1355 قد وقع وان الازمة التى كانت تهيمن على أجواء الدروس وفى مجالس الطلبة طيلة السنة قد انتهت بنفى الاستاذ الى مسقط راسه ايلغ وكانت الصدمة أعنف مما يتصور حيث علا النحيب ووقف كبار الطلبة يخطبون على التوالى منددين بأعمال الاستعمار ومقسمين الايمان انهم لا يحيدون عن المهيع الذى كان يسير عليه الاستاذ المختار وأن المدارس سوف تستمر فى اداء رسالتها وان نفى الاستعمار مختارا واحدا فاننا كلنا مختارون وقد بر الطلبة فى قسمهم حيث بقيت المدارس مفتوحة تؤدى مهمتها وسار تلاميذ المختار على درب الكفاح والنضال وعلم الاستعمار أن تدخله جاء متأخرا وأن زرع المختار قد أثمر وأينع واصبحت مراكش تعج بالمختارين فلم تعد مراكش تلك المدينة الهادئة المستسلمة المنقادة بل اصبحت فى مقدمة المدن المغربية التى اقضت مضجع الاستعمار وأذنابه كما اصبحت بعد نفى المختار اتونا تتأجج فيه نار الحركة الوطنية حيث غدت وفى كل عين دمعة وفى كل فم حسرة وفى كل دار مأتم وفى كل ناد خطبة وفى كل جريدة او مجلة الف احتجاج ووعيد وهكذا كان نفى المختار من مراكش نديرا بتفجير بركان لم ينطف اواره حتى رجع المختار الى مراكش بعد نفى دام تسع سنوات وفى سنة 1365 حل الاستاذ من جديد مدينة مراكش التى كان يحن اليها ويملىء قصائدها بذكرها فابتدا حياة أخرى هى امتداد لحياته الاولى فى مراكش حياة العلم والتدريس واستنهاض الهمم وخلق جيل آخر واصل الكفاح والنضال حتى بلغ غاية المختار وتلك جولة اخرى من حياة الاستاذ بعد النفى حياة مليئة بالاحداث السياسية والانتصارات المتوالية نتركها الى مقال آخر ان شاء الله .

مع الأستاذ محمد المختار السوسي في كتابه

من أفواه الرجال

للأستاذ أحمد بخيب البعماوي

يقول الاستاذ الكبير فى مقدمة كتابه : « كنت يوم القتنى زوبعة النفى فى بسيط (الغ) أتطاول الى شغل يحول بينى وبين الاسترسال فى التفكير الذى هو مجبلة للهموم ، ومدعاة لنوازع الأسى فما تيسر لى اذ ذاك الا من وجدتهم أمامى فى زاويتنا — الزاوية الدرقاوية — فافتتحت معهم الحديث عن شيخهم : والدى رحمه الله ، فينثرون على بما يعرفونه عنه . فأقيد كل ما قالوه عنه ، كيفما كان ، والقارىء المخالط للفقراء الصوفيين الفانين فى محبة شيخهم كأمثال هؤلاء يعرف كيف يلذ لهم غاية اللذة أن لا تـــزال السنتهم رطبة بذكر كل ما راوه منه ، أو آنسوه أو لمسوه ، فلذلك جاء الكتاب بأجزائه المتتابعة كما يراه القارىء كسلسلة واحدة يأخذ حلقـــة منه بطرف أخرى الى ما قدر لها من نهاية ، فمن أخبار الصوفية الى أخبار الرؤساء الى أحاديث الفقهاء ، الى كل ما يعن أثناء تجاذبات الحديث كيفما كـــان » .

كان الكتاب « من أفواه الرجال » أول ما اشتغل به الاستاذ المرحوم ، وكان بابا فتح له أبواب التأليف على مصراعيه ، فاذا به يكتب كثيرا مـــن الوان التقييدات والتآليف على أفواه الرجال ، فنظمها حسب أبوابهـــا وما اشتملت عليه من الوان المعرفة ، فاذا بها تخرج كتبا بهذه العناوين : (أدباء سوس) (رؤساء سوس) (اللطائف والنوادر) (رجالات العلـــم والأدب بسوس) (سوس العالمة) (المعسول) (رجالات العالم العربى فى سوس) و (مترعات الكؤوس) وكتب أخرى غيرها .

وكتاب : « من أفواه الرجال » كتبه المؤلف كما أشار اليه سابقا متصل

الحلقات يشد بعضها الى بعض ، ليس مفصل الابواب ، وقد قدره المؤلف بنحو 10 أجزاء ولكنه لم يطبع منه الا ثلاثة أجزاء ، ولعل الاجزاء الاخرى اضيفت الى غيره ، أو بقيت بدون أن تطبع .

ويقول فيه المؤلف عنه وعن نفسه : « ان هذا المجموع الساذج المائع البسيط من جميع جهاته أفضل واحلى واغلى عندى من كل ما كتبته بعده ، وان حاولت فى غيره أن انظم والبس العبارات ملاءات مذهبة ، ولعل السبب من ذلك أننى احب البساطة فى جميع امورى ، فحين كان المجموع له القدح المعلى من البساطة احلولى فى ذوقى ، والله يجعل الكل فى ميزان القبول » .

وكان ابتداء تأليف وكتابة الكتاب سنة 1356 هـ يرسل فيه الكلام ارسالا ويكتب كما تيسر بلا تكليف عبارة ، ولا ترتيب الموضوعات ، وان كان يدور على موضوع واحد هو « سيرة والده المرحوم الشيخ على الدرقاوى » .

والشيخ على الدرقاوى كان عالما فقيها أديبا ورعا تقيا متصوفا ، جمع بين العلم والأدب ، والتصوف والفقه الى جانب انه كان — رحمه الله — مصلحا اجتماعيا ومصلحا دينيا قبل أن يكون شيخ الطريقة .

وهو كما سمعنا عنه وقرأنا عنه فى هذا الكتاب وفى غيره ، كان ممن انقذ الله بهم جماعات وأفراد كثيرين فى سوس وفى غيرها من أقطار هذا البلد : المغرب ، وهو بحق مجدد الدين ومجاهد متواضع النفس وشيخ عالم ، ومرب مقتدر . وقد الف تآلف فقهية وغيرها بالعربية وباللهجة السوسية .

وهذا الكتاب الذى بين ايدينا لم يقتصر على ترجمة الشيخ على الدرقاوى ، بل انه ليس ترجمة بالمعنى المعروف ، وانما هو حكايات تتناول رحلات المريدين ورحلات الشيخ وتعريفا بأعلام الطريقة وطلاب العلم على يد الشيخ المذكور ، يصعب تلخيصها او تناولها بموضوع مجمل فى مثل هذا « الكلام الموجز » .

الا اننا نقتبس منها ما يفيد ويلقى ضوءا يسيرا على حقبة من الزمن

مرت على الناس تغيرت الاحوال بعدها تغيرا كثيرا ، حتى ان القارىء لما كان فى تلك الحقب من الزمن يظن أنه فى حلم او يقرأ فى كتاب جديد عن ألف ليلة وليلة ولكن بأسلوب آخر وطريقة أخرى . .

ومن الحكايات التى تدل على همة الشيخ صاحب الطريقة وانه يعمل لله ويربى الناس على المحجة البيضاء حسب اجتهاده ومبلغ علمه هـــذه الحكايـــة :

« . . وكان لأهل « ساموكن » محبة خاصة فى الشيخ . . حتى انهم اقترحوا عليه أن يجعلوا من ثمار نخيلهم صاعا نبويا لكل غرارة ينذرونه للزاوية ، فيعطونها كلهم قاطبة ، فتكون تالدة خالدة فى أعقابهم ، يعطونها لورثة الشيخ ، حتى جمعوا من ذلك سنة فحملوه الى الزاوية ، فأنكــر الشيخ ذلك كل الانكار ، وأمرهم أن يجعلوا ذلك لمدرستهم ، لأنه لا يحب التكليف على العباد نحوه ، لاسيما ان كانوا من العامة ، فلا يقبل أن يتحمل الناس بسببه النذور التى قلما تتمها النفوس التى حببت اليها الاموال حبا جما ، وقد سمعت أن الفقيه سيدى على بن عبد الله عاتب الشيخ حين لم يقبل من هؤلاء ذلك ، فأجابه الشيخ الجواب الذى يفهمه ، فقال : اذن لا ينقص على بن أحمد ــ يعنى نفسه ــ الا أن يتحمل منة آيت ساموكن دائما فيثقلون عليه فى كل ليلة جمعة بالعشرات التى تقصد سوق جمعـــة سملالة ، لا والله ، وهذا جواب حق ، الا أن المقاصد العليا التى يقصدها الشيخ وامثاله اعلى واجل من مثل هذا ، وانما كان يخاطب كل واحد بما يفهم على شأن الكمال . على أن بعض الفقراء حكوا لى ان الساموكيين فى عام اكثروا النزول فى الزاوية ليلة الجمعة بالعشرات ، فتوالى منهم ذلـــك اسابيع عديدة ، وهؤلاء ليسوا بالفقراء ــ يعنى المريدين ــ واعظم شىء واصعبه عند الشيخ ان يخالط العامة أصحابه لما بين الجنسين من التباعد والتباين ، فأوعز مرة الى هذا الفقير « المريد » الذى حكى لى أن يخرج بهم بعد صلاة الصبح الى هذا المنبسط الكائن شمالى الزاوية ، وبه زرع للزاوية قد طاب واستحصد ليحصدوا منه ريثما يطلع النهار ويطيب الغدا ،

ثم يتسوقون ، قال : فماشيتهم فأصبحوا يحصدون ، وفيهم حملة القرآن ، المحترمون ، وهم كثيرون فى تلك القبيلة ، وباستحياء شديد من الشيخ أقبلوا جميعا على الحصاد .. وجاء الشيخ وقد ابطأ الفدا ، ولم يأت حتى ظن الساموكيون أن السوق ان تأخروا ربما تفوتهم ، فلما تغدوا ودعوا الشيخ وانصرفوا ، وكان ذلك آخر عهد أمثال هؤلاء بالزاوية فبقى الفقراء منهم وحدهم هم الذين يروحون تلك الليلة الى الزاوية ، وهكذا تملص الشيخ منهم ، وكثيرا ما يرتكب امثال هذه الامور مع أمثال هؤلاء ، ويقول : التخليط فسق . ولعله يعنى الاختلاط الذى يكون فيه التأثير العكسى لتربيته ، والافانة يخالط الناس ويذهب الى قراهم لنشر العلم والتهذيب ، ولايقاظ الهمم وابعاد الناس عن الغفلة المنكرة ، وما اكثر جولاته لهذا الغرض .

وقد ذكر المؤلف فى كتابه هذا عادات وتاريخ اهل المنطقة وما وقع لرؤساء القبائل فى اوائل القرن الرابع عشر الهجرى من حوادث ووقائع ، وما يتسم النصف الاول من ذلك القرن من حروب القبائل فى أقليم الجنوب (سوس) الى جانب الموضوع الرئيسى الذى عقد له وبوب له فى كل ما كتب ، وهو حياة وجهاد الشيخ والده ، وقد روى من ذلك شيئا كثيرا ، كما روى له من الكرامات وخوارق العوائد فى كل حكاية ما يدل على حب الناس له ، واكبارهم اياه ، مع عدم تعلق الشيخ بشىء من ذلك مما يحكى ويروى من الكرامات ..

قال : « وكثيرا ما تجد « الفقراء » يختلقون من أدنى شىء كرامة للشيخ ولو لم تكن كذلك ، كأن شيخهم لا يعظم اجره عند الله ولا تكون له قيمة فى القلوب الا بقدر ما له من الكرامات ، مع أن اعظم الكرامات من امثال الشيخ ما كان أمضى فيه حياته من ارشاد العباد ، وهدى الناس ، وتعليم الجاهلين وتنبيه الغافلين ، فلرد رجل واحد عن ضلالته أو غفلته ، ولتعليم جاهل واحد أمر دينه اكبر واعظم اجرا عند الله وعند العقلاء ذوى الالباب من آلاف الكرامات ، كأنهم لم تكفهم الكرامات المشهورة حتى يتطلبوا غيرها من ثنايا افعاله ، واقواله ، ولكن الحامل على ذلك كله من المريدين

الصادقين انما هو كثرة المحبة والفناء العظيم فى مشايخهم والله ينفعنا وينفعهم بذلك ، ويجعلنا على قدم السلف الصالح فيه) .

وذكر للشيخ سياحات كثيرة فى المداشر والقرى القريبة والبعيدة فى سوس والشياظمة والحوز والى بلاد أخرى كثيرة ، ومما ينبغى الاشارة اليه ما ذكر عن عادته ويقينه وجهاده فى العلم والعبادة والتربية :

(.. كان من عادة الشيخ دائما انه كان ينعزل بعد اختتام المجلس وسط الليل ، فيتنفل بالقرآن ، ولا يزال على ذلك الى ان يوقظ الفقراء ، وحينئذ يغفى غفوة قليلة بعض المرات ، ثم يتوضأ ويرجع للنوافل ، حكى ذلك خديمه سيدى بلعيد الصوابى ، وحكى لى مؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى انه ما استيقظ قط حتى يكون الشيخ هو الذى يوقظه ،، قال ولم يتخلف عن ذلك قط ثم انادى النداء الاول ، وسمعت من سيدى سعيد التنانى أن الذى يتنفل به الشيخ دائما خمسة أحزاب من القرآن ، الا اننى سمعت من آخرين ما يدل احيانا انه اكثر من ذلك ،، ثم ان من عادة الشيخ ان كان فى (الغ) أن يسهر عند الفقيه سيدى على بن عبد الله ان لم يكن فى زاويته ضيوف اخصاء ، فقد قال لى شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ما تعلمت ما تعلمته من التلاوة وتحقيق المسائل الا بمذاكرة الشيخ خالى ، فقد كان يأتى كل ليلة الى مجلس الفقيه ، ومقصوده أن يملأه بالعلم لئلا يكون فيه لغو الحديث ، ثم يستدعينى فأتلو عليه الى أن يقوم الفقيه الى مضجعه ، فأبقى انا معه ، ويتناول من جيبه شمعة نوقدها الى أن يبهار الليل ثم يرجع الشيخ الى داره — أقول — واذ ذاك يتنفل ثم يبكر كما ترى سحرا قبل الفجر بنحو ثلاث ساعات فيوقظ مؤذن زاويته ، فرحم الله تلك الهمم العليا).

ولنكتف بهذا القدر من الكتاب المذكور مخافة الاطالة على القارىء رغم انه لا يلم بما يعطى فكرة عنه ، وهو بأجزائه الثلاثة قطعة حية من تاريخ رجال وهبوا حياتهم لله ، وحافظوا على دين الاسلام للاجيال الذين اتوا من بعدهم . فرحم الله الجميع وجزاهم عن الامة وعن الاسلام خير الجزاء .

محمد المختار السوسي

من خلال مؤلفاته

للأستاذ مصطفى محمد الشعشوع

ولد فقيدنا العلامة المرحوم سيدى محمد المختار السوسى فى قرية (الغ) (1) السوسية التى تبعد عن مدينة تزنيت بنحو خمس كيلومترات تقريبا وذلك سنة 1319 هـ ونشأ فيها وترعرع حيث تفتحت قريحته فى المدرسة الالغية على يد والده اولا ، ومعلمه وشيخه الاول عبد الله بن محمد ثانيا ، الذى على يده استظهر كلام الله وحفظ بعض المتون وعلى يد جماعة من مشايخ بلاده فى سوس ومراكش وفاس والرباط تلقى واخذ العلم ، فكان مغرما منذ نعومة اظفاره — بالأدب والتاريخ — وكان فى حياته الدراسية الطالب المثالى الذى لا تراه الا متأبطا لكتاب ، أو باحثا عن فائدة ، أو مستفهما لشيوخه عما غمض ، أو منكبا على الكتابة والبحث . كان لا يترك حلقة من الحلقات العلمية دون ان يستفيد منها ، لذا بزّ اقرانه فى الأدب والتاريخ والشعر لدرجة انه ارتجله فى المناسبات ارتجالا .

وفى مراكش اتصل بعلمائها الاجلة واستفاد منهم الشىء الكثير .

هذا ، ويعتبر بيته من أعرق بيوتات « الغ » علما وفضلا ومجدا ونبلا وتصوفا . شب وشاب فى طلب العلم ، لذا كان رحمه الله من اجلة علماء علماء سوس بل من أجلة علماء المغرب ، واحد فحوله فى الشعر والأدب والتاريخ .

وفى مدينة فاس قضى اربع سنوات من حياته ، يقول عنها : انهـا

1) شرقى تزنيت كما اشار الى ذلك محمد بن العباس القباج فى كتابه « الأدب العربى فى المغرب الاقصى » . أما فى مقدمة كتاب (ابليغ قديما وحديثا) فيقول صاحبها انها بناحية تازروالت باقصى جنوب القطر السوسى . وتكتب (الغ) وتارة (ايليغ) .

قلبت حياته وتفكيره ظهرا لبطن ، وفيها احتك برجالات الحركة الوطنية والسلفية واطلع على الصحف الواردة من المشرق العربى وصار يشبع نهمه من المطالعة ، حيث وجد فيها ضالته المنشودة مما يوجد فى مكتباتها من نوادر الكتب العصرية والمخطوطات النفيسة التى كان ملتهفا الى رؤيتها .

فاس التى تلقح بجوها كما قال ذلك عن نفسه فى الجزء الاول من كتابه : « المعسول » حيث درس على عدة شيوخ فيها وتضلع فى العلوم الاسلامية وانكب على مطالعة مؤلفات كل من : الشيخ محمد عبده وفريد وجدى ومصطفى المنفلوطى . ومن الشعراء : أمير الشعراء أحمد شوقى وحافظ ابراهيم وخليل مطران وغيرهم .

ولم يكن يقتصر فى مطالعاته على الكتب التى توافق مشربه فقط ، بل يطالع كل ما يجده أمامه من : قصص وروايات وكتب السياسة والتاريخ وغيرها من الكتب العصرية ، اى انه ــ رحمه الله ــ كان يريد ان يعرف كنه كل ما يطبع وما ينشر ، الا ان اهتمامه بالتاريخ كان اكثر .

ومن هنا جاء ولعه بالتاريخ ، وقد وصف نفسه بهذا الوصف قبل ان يصفه الواصفون لمعرفة دوره فى نشر الوعى الاسلامى والوطنى والعلمى ، وما ذاقه وتجرعه ــ من اجل ذلك ــ من : نفى وتعسف وغربة فى سبيل ذلك من المستعمر الغاشم . ونراه يعتز بالانتماء السوسى حيث يقول فى مقدمة كتابه (سوس العالمة) « .... انا ذلك السوسى المولع بالتاريخ منذ نشأته لأبذل كل ما فى امكانى للكتابة عن بادية سوس منذ نفيت اليها فى مختتم 1355 هـ . الى ان افرج عنى الافراج التام فى مختتم 1364 هـ » .

ويفتخر بقريته (الغ) المفضلة باعتبارها مسقط رأسه ــ كما تقدم ذلك ــ والتى غاب عنها نحو 20 سنة اى ما بين 1336 هـ . و 1356 قصد الدراسة والتحصيل والتدريس فيما بعد بمراكش ونواحيها ، ناشرا للعلم ، محاربا للجهل، منبها الشباب السوسى الى ما ينتظرهم نحو بلادهم، فتضايقت منه الادارة الاستعمارية وقررت نفيه وارجاعه الى قريته (الغ) تحت الاقامة الاجبارية ، مانعة له من الاتصال بأى كان . وهناك وجد نفسه وجها لوجه ــ ومن جديد ــ أمام بيئته وعشيرته الاولى ، فوجد الفرصة سانحة لتجميع وتصنيف اجزاء كثيرة تناهز الخمسين جزءا من العلماء والادباء ، كما صرح

هو نفسه فى مقدمة كتابه المذكور (سوس العالمة) الذى يعتبر واحدا منها بل — كما صوره للقارىء — كالنافذة لكتاب (المعسول) وغيره من مؤلفاته .

وهكذا انطلق لسانه مخاطبا لقريته (الغ) والالغيين بقصيدته البائية المشهورة التى سأثبت فى ختام هذا البحث جملة أبيات منها تعتبر بمثابة نماذج من شعره ونثره تتميما للفائدة .

(الغ) القرية التى سبق ان قال فيها شيخه علامة سوس وشاعرها الفحل السيد الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكرى الافرانى متشوقا :

نسيم الصبا هبى بنشر ربا « الغ » ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغى

ولذلك نرى مترجمنا يقول بعد اليوم الثانى من وصوله مباشرة الى (الغ) : « فامتشقت القلم فاتخذته انيسا فى اليوم الثانى لنزولى فيها » .

والواقع اننا عندما نطالع كتاباته نرى فيها دائما ايقاظا للمهم ، وتنويرا للافكار ، وبثا لروح المنافسة والاعتزاز بالنفس والعمل المجدى ، فنراه — مثلا — يفتخر بعمله ويعتز به بل ويحفز ويحث غيره من سكان البوادى الاخرى بل وحتى المدن التى لم يكتب عنها أبناؤها شيئا فيقول : « فليت شعرى هل تجد تلك البوادى الأخرى بل وبعض الحواضر التى لم يكتب بعد اى شىء عنها .... الى آخر ما قاله فى هذا الباب .

وفى مطلع كلامه حول الاهتمامات كل بناحيته ومدينته نراه يثنى الثناء العاطر على استاذنا مؤرخ تطوان السيد الحاج محمد داود — عجل الله بشفائه — ويصف تاريخه قائلا : « فهذا تاريخ تطوان لأخينا الاستاذ محمد داود المستوفى ثمانى مجلدات التاريخ الوحيد المستوفى لكل جوانب التاريخ المطلوب عن احدى مدننا » . وهنا يرسلها صيحة مدوية بشأن الاهتمام بمدينة فاس فيقول : « .... ومن لنا بمثله عن فاس الماجدة العظيمة التى هى فاسنا كلنا لا فاس سكانها وحدهم » ويزيد فى هذا الباب قائلا : .... « افيجمل بمدينة مثل هذه تطفح بالشخصيات النادرة من العباقرة ما بين لغوى واديب وطبيب وفيلسوف ومصلح وسياسى وصوفى زيادة عما قضى فيها من الحوادث التى كانت هى الحاسمة فى كل ادوار الحوادث فى المغرب كله — ان تبقى بلا تاريخ مفصل منظم ، مع ان ذلك فى دائرة الامكان ؟ »

هذا ، ونرى فقيدنا كسائر الرواد والعظماء لم يترك فرصة النفي والابعاد تمر دون ان يستفيد منها في تجميع المواد وكتابة اليوميات والمذكرات التي اعتبرت اصولا لآثاره وانتاجاته الغزيرة فيما بعد ، رغم ان البيئة الاولى التي عاش فيها بعيدا عن لغة الضاد مع ذلك نراه ينبغ النبوغ المبكر وتظهر عبقريته الفذة الفياضة . لقد وصفه احباؤه وخواصه بكونه كانت تغلب عليه حياة البساطة والتواضع والبعد عن مظاهر الأبهة والعظمة رغم تقلده منصب الوزارة واكتسابه لرصيد شعبي هائل ابان التوعية الوطنية والكفاح الوطني ، والاعتراف لكل من اسدى اليه جميلا او نصيحة او دله على مرجع كان في حاجة ماسة اليه ، وهذه صفة رائعة من صفات العلماء المنصفين يتجلى ذلك واضحا في تآليفه العديدة التي اهدى بعضهالمن مده بعون ادبي أو اقتراح بناء . ففي كتابه الالغيات يقول : « .... ان أولى الناس بالاهداء السيدان الجليلان الابراهميان العالمان : ابن العم الاستاذ ابراهيم بن احمد ابن الحاج صالح والأخ البر الاديب ابراهيم بن علي .

وفي كتابه (سوس العالمة) في الاهداء : كان سبب ابتدائي لمباحث هذا الكتاب أستاذي الجليل علامة الشرفاء السيد عبد الرحمن ابن زيدان يوم زار سوس وكتب رحلته السوسية في كراسة فناولنيها على ان اذيل عليها وأستتم كل ما يتعلق بالعلوم العربية في كل ادوار التاريخ بسوس .

وفي الصفحة 23 من كتابه (المعسول) ج : 1 يقول : « كنت اخذت عن أخي البحاثة الاديب سيدي الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ (جزولة) اثر جولة جالها هناك سنة 1351 هـ . فاستطعت ــ بفضل الله ــ ان اقر عين الاخ البونعماني الذي هو أبو كل افكار في هذا الموضوع » .

شيوخه : في طليعة شيوخه بقريته (الغ) والده الصوفي الكبير والمربي الجليل الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي وعبد الله بن محمد الذي تلقى عنه كتاب الله . والشاعر الكبير الطاهر البكري الايفراني الذي أخذ عنه العلوم الابتدائية ثم انتقل الى الساعدات في احواز مراكش .

وفي مراكش اخذ عن العالم مولاي عبد القادر بن العربي مفخرة السباعيين وعن العلامة محمد بن الحسن قاضي مراكش .

وفى فاس اخذ عن العلامة الشيخ مولاى محمد بن العربى العلوى وغيره من العلماء الافذاذ وبعد مضى اربع سنوات انتقل الى الرباط .

وفى الرباط : أخذ عن صفوة من العلماء الكبار الذين كان لهم الأثر الطيب والذكر الحسن فى المغرب عموما ومدينة الرباط على الخصوص كالشيخ المحدث ابى شعيب الدكالى مفخرة المغرب حيث لازمه كما لازم العلامة مولاى محمد المدنى بن الحسنى نابغة الرباط ومحدث العصر واعجوبة المغرب — كما وصفه مترجمنا — والعلامة محمد بن عبد السلام السائح أحد افذاذ المعرفة ونوادر المثقفين الذين انجبهم المغرب كما وصفه بهذا الوصف الاستاذ البحاثة سيدى عبد الله الجرارى فى الجزء الثانى من كتابه : (من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا) .

وبعد اتمام دراسته غادر الرباط عائدا الى مراكش حيث تصدى للتدريس فالتف حوله الطلبة ، ونظرا لاخلاصه لبلاده وقيامه بما يفرضه عليه الواجب الوطنى من ميل الى الحركة الوطنية — نفته الادارة الحامية الى قريته (الغ) كما تقدمت الاشارة الى ذلك . وبمجرد اطلاق سراحه توجه الى الدار البيضاء وهناك قام بنشر الدعوة والتدريس فى عدة مساجد واخيرا اعتقل من جديد سنة 1952 ونفى الى (اغبالو) و (كرداس) ، وما اطلق سراحه الا بعد عودة جلالة الملك الراحل محمد الخامس — طيب الله ثراه — من منفاه واعلان استقلال البلاد .

لقد بوأه اخلاصه لبلاده وتفانيه فى نشر العلم والتنقيب عن رجالات جزء غال من المغرب — أقول — بوأه ذلك ، لنيل حظوة رفيعة لدى جلالته فعينه جلالة الملك محمد الخامس وزيرا للاوقاف والشؤون الاسلامية فى أول حكومة مستقلة فوزيرا للتاج بالقصر الملكى الى ان لقى ربه .

انتاجه وتراثـــه : خلف فقيدنا مؤلفات عديدة :

(أ) **منها ما قدر لها ان ترى النور** ، فى مقدمتها :

1) **كتاب المعسول** : الموسوعة والمعلمة التاريخية المهمة ذات العشرين جزءا عن سوس تضم رجالاتها ومدارسها التى كان لها الأثر العظيم فى تكوين حركة علمية هنالك ، تدعو للاكبار والاعجاب وهى : (مجموعـــة

مهياة لمن سيستقى منها غدا) كما وصفه مؤلفه . من جهة أخرى ما أشار اليه الاستاذ الحاج احمد بنشقرون ضمن قصيدته التأبينية لمترجمنا قائلا :

فجاءك (معسولك) الزخار منقبة	تشع بعدك طـــول الدهر والحقب
كشفت عن سوس علم ما احاط بها	من الحجاب فلاحت سوس كل ابى
قد كنـــت للبحث والتأليف منقطعـــا	وللمكارم رغـــم السجن والنصـــب

2) **كتاب الالفيات** : فى ثلاثة اجزاء يقول عنه مؤلفه فى تمهيده بالنسبة للجزء الاول ما نصه : هذا الكتاب كالكشكول يضم ما بين دفتيه قصة نفيه الى مسقط راسه (الغ) وسبب ذلك وما نظمه من القوافى ، فهو اذن ، كتاب متعلق بخواطره وجوانب عن حياته الخاصة ، فهو شبيه بالمذكرات من ناحية ، وشبيه بمجموعة ادبية من ناحية أخرى كما وصفه هو نفسه .

3) **كتاب : خلال جزولة** فى اربعة اجزاء ، كل جزء يعتبر رحلة : وهو مطبوع بتطوان سنة 1962 .

الجزء الاول يتضمن الرحلة الاولى من (الغ) الى تارودانت .

الجزء الثانى يتضمن الرحلة الثانية من (الغ) الى ماسة .

الجزء الثالث يتضمن الرحلة الثالثة من (الغ) الى تامانارت .

الجزء الرابع يتضمن الرحلات المتتابعة كل ما امكن تقييده بالقلم بعد ما رآته العين وزارته القدم كما عبر عن ذلك هو نفسه .

4) **كتاب من افواه الرجال** فى ثلاثة اجزاء ومنه تولد ـــ كما صرح بذلك ـــ كتاب (المعسول) مطبوع كذلك بتطوان سنة 1962 يقول فقيدنا ـــ روح الله روحه ـــ انه حرص على أمانة النقل عن المصادر وغالبها من افـــواه رجالات الاسر .

5) **كتاب : الترياق المداوى فى اخبار الشيخ سيدى الحاج عـــلى السوسى الدرقاوى** : طبع بتطوان سنة 1962 يقول عنه فقيدنا ما يأتى : انا مؤلف هذا الكتاب ، مبدئى هو مبدا السلفية وانا اعلن ذلك وأوقن ان الدين الخالص هو ما كان عليه السلف الصالح ، وما لم يكن ذلك اليوم دينا ، فلا يكون اليوم دينـــا » .

6) **كتاب : ايليغ قديما وحديثا** وقد طبع بعد وفاته بالرباط سنة 1966.

7) **كتاب : « الرسالتان » (البونعمانية والشوقية)** مطبوع بتطوان .
والغريب فى الامر ان معظم مؤلفات فقيدنا مطبوعة بتطوان وبالمطبعة المهدية المأسوف عليها التى كان لها ذكريات وذكريات مع الحركة الوطنية والثقافية وروادها بالمغرب ، فمن حق تطوان اذن ، ان تساهم بحظها فى تخليد هذه الشخصية الفذة والتى تفانت فى خدمة العلم والعلماء كما ساهمت بنصيبها الأوفر فى طبع كتبه بها .

(ب) **ومنها ما زال مخطوطا** (2) ، ومع ذلك فقد اعتمدها ــ فيما اعتمد ــ كمرجع لموسوعته (المعسول) وهى كما يلى :
كتاب بطاقة الريحان من روضة الافنان ــ كتاب الرؤساء السوسيون ــ محاضرة فى الثوار السوسيين ــ من سوس الموجودة والمندثرة ــ الصالحون المتبرك بهم من سوس اخيرا ــ منية المتطلمين الى من فى الزاوية الالغية من المنقطعين ــ مترعات الكؤوس فى بعض آثار لأدباء سوس ــ مدارس سوس والعلماء الذين درسوا فيها ــ جوف الفرا مجموعة أدبية يقول عنه مؤلفه : « جعلناه كسلة المهملات نلقى اليه ما غث وما سمن ــ نجوى الصديقين (ادبيات الغية) ــ توفيق الرحمن الى مراجعة القرآن ــ على قمة الاربعين (مذكرات حياتهم) ــ اخلاق وعادات سوسية ، جمعت تحت اسم (حديث سيدى حمو) .

ــ كتاب قطائف اللطائف (مجموعة نوادر من حكايات سوسية) .
ــ كتاب (من مراكش الى ايلغ) وهى رحلة مذيلة بالاخبار .
ــ كتاب رجالات العلم العربى فى سوس .

هذا ورغم وفرة البحوث التى ضمت مجلدات ضخاما حول تاريخ سوس ــ نرى فقيدنا يصرح فى أحد كتبه : (سوس العالمة) قائلا : « ان تاريخ بلاد سوس لا يزال كله بكرا غير مفتض ، ولم تكتب منه الا شذرات فهاأنذا اقر انني ــ يقول فقيدنا ــ وان بذلت من المجهود ما بذلت ، ما جمعت مما أمكن جمعه الا قليلا ضئيلا » .

---

2) قد يكون طبع البعض منها ، الا اننى لم اقف على نسختها المطبوعة .

كما يصرح فى الصفحة (233) من كتابه (سوس العالمة) كذلك قائلا : « ان تاريخ سوس الحقيقى لا يزال منتظرا من احد السوسيين الذين لا يخلو منهم هذا العصر الذى تنبهت فيه الافكار ، وعلت فيه الانظار فليت شعرى هل احيا حتى ارى بعض شبابنا الحى يتقدم فيحصى كل قبيلة قبيلة ما يتعلق بهـا ؟

. الخلاصة يتقدم ان المرحوم العلامة السيد محمد المختار السوسى وامثاله من عباقرة العلم والأدب والفن ، ثروة من ثروات البلاد ، لا تكتسب بالحيلة ، ولا بالارث ولا بأية وسيلة من الوسائل الاخرى المعروفة ، وانما هى نفثات من روح الله ، فبموته جف قلم ، وسكن لسان ، وفقد انسان لا كالاناسى وانقطع وحى ، . و . . . .

هذا — باختصار — ما استطعت المشاركة به لتخليد هذه الشخصية الفذة تكريما للعلم فى شخص مترجمنا ، شاكرا لاسرة مجلة (الايمان) وعلى راسها مديرها الحازم الداعية الاستاذ الشريف سيدى أبوبكر القادرى — اهتمامها بالعلماء العاملين — فعسى ان تستمر مجلتنا « الايمان » فى خطتها وسنتها لاحياء شخصياتنا المغمورة فى طول البلاد وعرضها ، وذلك بتخصيص عدد من المجلة فى كل سنة لشخصية من الشخصيات المغربية التى التى كان ينبغى علينا تسليط الاضواء عليها .

نماذج من مقالـه :

ا — فى الشعر ، احببت — تتميما للفائدة — ان اذيل هذا البحث بنماذج من شعر ونثر المترجم ، ففى الشعر نجد له العشرات من القصائد اطولها قصيدته البائية المشهورة التى تقدم ذكرها ، اقتطف منها جملة من الأبيات فى البدء والختام . قال نور الله ضريحه فى مطلعها :

اليكم بنى امـى — ائيب ركائبـى	فيا ليت شعرى هل انا خير آئب ؟
فقد غبـت احقابا طوالا وذا انـا	اعود كأن لم اغد — قط — بغائب
صدفت الى ان كان ميلى اليكـم	ورجعاى هذا اليوم احدى العجائب

كأن لم يكن (الغ) بلادى التى بها — سموت به فوق الذرى والمناكـــب
كأن لم يكن اصلى ومنبت نبعتـــى — ومجمع اخوانـــى ومغنى أصاحبـــى
كأن لم تكن لـــى ارضها خير مرتقى — سربت صفيرا بين شتى المسارب

الى ان قال فى البيت 34 بعد المائة : اى فى ختامهـــا .

بنى « الغ » هذا صنوكم وعشيركم — يؤوب أيغدو بينكم خـــير آئـــب ؟
فقد جاءكم من بعد عشرين حجـــة — غريب المبادى والحجا والجلابـــب
فـــان تنكـــروا منه وينكر لديكـــم — خلائـــق فالاغضاء اوجب واجـــب
فعمـــا قليل يقـــرن الدهر بيننـــا — فليـــس لزوم الطبع ضربـــة لازب
عليكم جميعا مـــن اخ حل بينكـــم — حلول السها بين النجوم الثواقـــب
سلام كمـــا طابت شمائـــل منكـــم — وفاحت لديكـــم طيبـــات المناقـــب
يعمكـــم يـــا آل الـــغ فانتـــم — جميعـــا اودائـــى وغـــر اقاربـــى

النمـــوذج الثانـــى : مطلعـــه .

لـــم لا اقـــول الشعـــر كيـــف اريـــد ؟

لـــم لا اقول الشعـــر كيف اريـــد — وانـــا بنيـــران الشعـــور وقود ؟
لـــم لا اقـــول واننـــى متململـــل — فى حـــين ان القائلـــين رقـــود ؟

الى ان يقول :

ايهز (علال) و (قرى) و (مسكى) بشعرهم السما فتميد ؟

نثـــره :

اما نثره ، فيتجلى فى كتبه العديدة المذكورة ، وقد اثبت بعض فترات منها مع المميزات التى يمتاز بها اسلوبه فى الكتابة . وهاانا اقتبس نموذجا آخر من مقدمة كتابه (الترياق المداوى . . . .) يقول مترجمنا : « ...لو كنا دولة اسلامية حقا ، لكان يجب ان نقوم لنصفى ديننا من البدع وتصوفنا مما مازجه ، ونأخذ بحجز المبتدعين عما هم فيه ولو مرغمين ، ولكن أنى وقت تفتح فيه المراقـــص

علانية ، وتطفح فيه المواخر جهرة ، ويدافع فيه عــن الزنى بحجة الحريــة الشخصية ــ ينادى باغلاق زوايا هؤلاء المساكين الذين هم وحدهم لا يــزال البصيص من التدين فى ايديهم وحدهم ؟ ان هذا ليس بحكمة ولا براى ، وما هكذا يكون الدواء من ايدى الاطباء النطاسيين فالدين الخرافى خير من لا دين له ، كما ينسب للشيخ محمد عبده رحمة الله فى منامة .

وبعد ، فاننى انا مؤلف هذا الكتاب مبدئى هو مبدا السلفية وانا اعلن ذلك واوقن ان الدين الخالص هو ما كان عليه السلف الصالح ، وما لم يكن ذلك اليوم دينا ، فلا يكون اليوم دينا » .

هذا هو مترجمنا ، وتلك مؤلفاته ، التى اثرت المكتبة المغربية والادب والتاريخ ، المغربيين ، حيث تهافت عليهــا الباحثون بحثا ، ودراســة ، وتمحيصا ، وبعد ذلك انطلقت السنتهم بالتقريظ ، لانهم بالاضافة الى ما فيه من ادب وتاريخ ، هناك ــ كذلــك ــ عادات وطرائــف ونوادر ونكــت ومستملحات لنواحى شاسعة من المغرب كانت معروفة لدى الجميع .

لهذا ، اعتقد انه من البرور ان تقوم اسرة مجلة (الايمان) بما تقوم به ، خدمة للعلم ، واعترافا بما اسدى مترجمنا من الخدمات لبلاده سوس خصوصا ، وللمغرب عموما .

مصطفى محمد الشعشوع

المختار السوسي أمام الميكروفون

الأستاذ أحمد ابراهيم أمزال

بادرة طيبة اقدمت عليها مجلة الايمان باحيائها لذكرى استاذنا العلامـــة المرحوم محمد المختار السوسي وفاء لنضاله الوطني وتخليدا لمواقفه ولــدوره العلمي والفكري وما قدمه من خدمات جليلة ومفيدة لبلاده في المجالات السياسية والتربوية ، وليس بغريب ان تصدر مثل هذه المبادرة من مجلة اسلامية وطنيـــة تديرها شخصية فكرية بينها وبين الاستاذ المختار السوسي رحمه الله الاحترام والتقدير المتبادل الشيء الذي وطد علاقات الصداقة والاخوة والنضال الوطني المشترك بينهمـــا .

انني اعرف مسبقا ان السادة الذين سيكتبون في العدد الممتاز من مجلة الايمان عن شخصية الاستاذ محمد المختار السوسي سوف يتناولون مختلف الجوانب التاريخية والعلمية والفكرية من حياته ولن يكون ما سأكتبه في الموضوع على ما يبدو الا مكررا ولذلك اكتفي بسرد ما اعرفه عنه باختصار وهو امام ميكروفون الاذاعة ..

لقد واظب رحمه الله خلال بداية الستينات على القاء دروس دينية هامة على امواج الاثير بالاذاعة السوسية فكان رغم تقدمه في الســـن يصر على المجيء الى دار الاذاعة بدلا من ان ينتقل الميكروفون الى بيتـــه وكثيرا ما كان يختار لتسجيل احاديثه خلال شهر رمضان وقت فراغ الادارة اي يوم الاحد ليتسنى له تسجيل اكبر عدد ممكن من الاحاديث التي تتوفر منها الاذاعة اليوم على تسعين حديثا بصوته وهي متسلسلة تناولـــت السيرة النبوية وتفسير آيات بينات من الذكر الحكيم مستعرضا بعـــض

الاحداث التاريخية التى عرفها انتشار الاسلام مع ذكر مواقف لبعض الصحابة والخلفاء وآل النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما حلل رحمه الله المغزى العميق لغزوة بدر وغزوة الخندق والحديبية وكذا معنى الاسراء والمعراج وليلة القدر ، ويحدث مرات ان تصادفه مناسبة وطنية فيتحدث عنها باسلوبه الواثق الوطنى المومن ، ويحدث مرات أخرى ان تصدر منه اثناء التسجيل فلتة لسان فى حق شخص لعب دورا ما فى الحياة السياسية المغربية وسرعان ما يطلب تلفونيا بعد وصوله الى منزله بحذف كلمة أو عبارات من حديثه المسجل تلافيا لاى احراج او مس بعائلة ما أو بجهة ما .

كان الاستاذ المختار السوسى رحمه الله يجلس بالاستوديو امام الميكروفون ليرتجل درسا مركزا فيحلل جميع جوانب الموضوع ويستدل بالآيات القرآنية وبالاحاديث النبوية ويعطى الامثلة بالاحداث التاريخية ويغنى الدرس بامثال وحكم وابيات شعرية وأراء فى اللغة والفلسفة والآداب ونظريات لكبار العلماء وعديد من المفكرين مستعملا اسلوبه العلمى فى مخاطبة العقل والوجدان حيث يستفيد المستمع ويقتنع أولا بافكار صائبة فى التربية الاسلامية والتوجيه الدينى الصحيح ، ويقتنع ثانيا بأنه يستمع الى رجل وطنى ومفكر اسلامى كبير متشبع بروح المعرفة والصدق والايمان ، وان فى كيفية بحثه ومعالجته لاى موضوع يتأكد للمستمع ان المتحدث علامة ومؤرخ يتميز بعلم واسع ورأى سديد متأثر اكثر بالقيم الدينية والاخلاقية وهو بالاضافة الى ذلك رجل قانع زاهد متواضع يتصف بخصال حميدة من اخلاص ووفاء وصبر وتجلد ثم انه يعتز بالاصالة والتقاليد المغربية العريقة ، لا يبخل على احد بنصائحه ولا يتخذ اى موقف الا بعد ترو وتفكير طويل وعميق .

وكم يتطلب ميكروفون الاذاعة فى مواجهته شجاعة يفتقدها الكثير وهو وهو يتلو حديثا مكتوبا فاحرى ان يرتجل الكلام فى موضوع فكرى يتوقف على التركيز والتمييز والشمولية والسرعة الفائقة فى اختيار الكلمات الامر الذى كان سهلا وهينا على استاذنا الراحل الكريم .

من ذكرياتى مع الاستاذ المختار السوسى انه ذات مرة بينما كان يتأهب بالاستوديو لتسجيل حديثه وبصدفة دخل عليه الاستاذ مصطفى العلــوى الرئيس الحالى للمجلس العلمى بمكناس حيث دار بينهما الحوار التالى :

العلوى : ماذا تفعل هنا يا وزير .. ؟

السوسى : جئت لاشلح الدين .. وانت .. ؟

العلوى : جئت لاعربه .

السوسى : المعربون كثيرون .

العلوى : والمشلحون قليلون .

السوسى : قليلون ولكنهم يهتمون بالدين اكثر ..

لقد كان الاستاذ المختار السوسى رحمه الله من المــع الشخصيات الفكرية فى بلادنا باعتبار مساهماته القيمة فى مختلف المجالات الوطنيــة والثقافية والصحافية واعتباره كذلك الرجل الذى مارس بجدارة واستحقاق مهام التدريس والعدلية والوعظ ، وعانى من النفى والسجون قبل ان يصبح وزيرا الى ان لبى داعى ربه مطمئنا رحمه الله .

الرباط : **احمد امزال**

محمد المختار السوسي
علم من أعلام الفكر والدين

الأستاذ أحمد المكينسي

* علم من أعلام الفكر والدين ورجل من رجال الوطنية وعالم سلفي من علماء الرعيل الاول في المغرب وشاعر ومؤرخ « انه المختار السوسي الذي كرس اهتمامه لدراسة التاريخ والتفرغ له بكتاباته وبحوثه ودراسته ، بالاضافة الى آثاره الاخرى التي تركها في مجالات عديدة » .

— ولقد كان اول عامل ساهم في تكوين هذه الشخصية الفريدة من نوعها هو تربيته وتعليمه ، ففي بلاد سوس — مسقط راسه — أخذ م . م السوسي تعليما دينيا ، ومن ثم انتقل الى جامعة ابن يوسف بمراكش الحمراء ثم الى جامعة القرويين الشهيرة قبلة العلماء بفاس ، فتلقن في تعليمه الاول سواء في الكتاب او المدرسة مبادىء الحساب واللغة العربية والقرآن ، ولما التحق بالجامعة توسعت هذه الآفاق لتشمل أصول الدين والفقه والتاريخ وغيرها من علوم عصره آنذاك ..

* وهكذا تكونت لهذا الرجل ثقافة واسعة جمعت بين السلفية الدينية والادب والشعر والتاريخ ، ومن ثم تطلع كغيره من الرجال المثقفين المصلحين الى المساهمة في الحركة العلمية والفكرية بآثاره ومؤلفاته ولقد مال الى التاريخ فكتب فيه الكثير ، فجاءت آثاره تحمل السمة التاريخية البحتة ، فاهتم ببلدته سوس ، فألف كتبا كثيرة عن تاريخك المشرق الحافل بحركة العلم والآداب ، ولقد استعرض من خلال مؤلفاته هاته — والتي بلغت أكثر من 50 كتابا — الاسر والبيوت العلمية التي كانت تزخر برجالات ساهموا بشكل فعال في بناء المدارس والمكتبات وفي اغناء الحركة العلمية وخلق تراث سوسي

فى المنطقة بصفة خاصة وفى المغرب بصفة عامة ، ولعل أهم مـا اثرى هذه الحركة هو بناء المدارس ، فمنذ تأسيس مدرسة اكلو فى القرن الخامس الهجرى والحركة العلمية تتقوى وتكون جيلا من العلماء المسلمين الذين ساهموا بشكل واضح فى نشر الوعى الدينى والفكرى ، يحكى لنا الاستاذ الحاج احمد معنينو انه زار بصحبة الصحافى المغربى الراحل الاستاذ سعيد حجى سنة 1936 مدرسة المختار السوسى والتى كانت حرة ، بسيطة فى مظهرها ، عظيمة فى انتاجها بباب دكالة وقد كانت زاوية لابيه الشيخ المربى العالم الورع مولاى على الدرقاوى (رحمه الله) ويواصل الحاج معنينو الحديث فيقول : « ان السوسى (رحمه الله) قام بتقديم بعض التلاميذ من ابناء سوس الفيحاء ، فقدموا بين أيدينا قطعا شعرية ونثرية مختارة من مخلفات كتب الادب العربى ودواويـن فحـول شعـراء العـرب وكتابهم المبرزيـن ، وقـد اندهشنـا من هذا النبوغ المبكر والتكوين المنقطع النظير ، فأظهرنا اعجابنا وسرورنا لاخوته وثناءنا على مجهوداته القيمة » (1) .. انها شهادة حية من رجل عاصر عالمنا الجليل لا تحتاج الى تعليق ..

* والمختار السوسى يعتبر امتدادا للمدرسة الاصلاحية فى عصره ، وبالضبط فى بداية هذا القرن ، فكانت مساهمته فى تأسيس المدارس العربية الحرة والتعليم بها خطوة من خطوات اصلاحه ، ولم يقتصر رحمه الله فى عمله الجليل على الاطار الدينى المحض ، بل تعداه الى المشاركة الفعالة التى تكلف صاحبها التضحيات الجسام ، فكان وطنيا غيورا على امور بلاده وهو يراها ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسى الغاشم ، وقد سبب له هذا الحماس الوطنـى كغيـره — بطبيعة الحال من المصلحين والزعماء والوطنيين — مقاومة من طرف المحتل الاجنبى وملاحقة أدت به الى النفى الى « اليغ » فى نفس تلك البلاد السوسية والسجن والاغتراب .. ولكن هذا كله لم يمنعه من مواصلة البحث والكتابة والتاليف ، فكتب خلال سجنه هناك كتابه الشهير : « **سوس العالمة** » ، وفيه تاريخ لاقليم سوس (يقع فى اكثر من 20 جزءا) .

* لقد نادى فى كتابه هذا بالتعريف بتاريخ البادية ومحاولة ادماجه فى

---

(1) من مقال للاستاذ ج . معنينو مجلة الفنون دجنبر 1977 ص . (112)

التاريخ العام للبلاد المغربية ، فتطلع حوله فوجد جيلا يجهل كل الجهل عن مكونات باديته التاريخية والحضارية والعلمية والادبية، وخصوصا وان هذه المناطق كانت الى حدود الامس القريب مراكز الاشعاع العلمى ، ولم يبق منها اليوم سوى الآثار والاطلال القديمة ، اشعاع كان يقوم على تراث خلفه الاجداد من الفقهاء والعلماء والشيوخ الاجلاء ، تراث شمل كتب تفسير القرآن وعلوم الحديث والسيرة السلفية زد على ذلك ما تركه هؤلاء العلماء من رسائل مبعثرة ودروس ومحاضرات كانت ثمرة الجلسات والمسامرات والحلقات وهى فى حاجة ماسة الى تدوين وجمع من أجل الكشف عنها ، وهذه مهمة رآها المختار السوسى موكولة له ولابناء هذا العصر رغبة فى خدمة التراث وبعيداً عن كل عصبية واقليمية ضيقة،، ولا بد وان نتذكر قولته التى صدرت منه عام 1936 بمراكش « **نجهل بلادنا جهلا ؟ الكسل ، الجبن ، التزمت الانزواء كل هذه المصائب والنوائب جعلتنا نرزح فى الجهل بما فى مغربنا ؟ وعدم اهتمامنا بزيارة مجاهل المغرب ؟** » انها صيحة من اجل البحث والدراسة ومعرفة كنوز وذخائر المغرب التى ما تزال مجهولة ..

* ومن هذا المنطلق تكونت لعالمنا غيرة وطنية اعتمد فيها على نظرية علمية تاريخية استهدفت الكشف عن الدور الثقافى والتاريخى الذى تلعبه بوادى المغرب لتكمل الدور الحضارى الذى تقوم به المدينة فيكونان معا جسرا ثابتا يؤدى الى التفتح على العالم الخارجى دون تقوقع أو انطواء ..

* ومن هنا تتحدد لنا قيمة هذا الرجل ــ نسبيا ــ لان هناك جوانب اخرى من حياته مجهولة وعلى الباحث والاديب أن يبحث عنها ، ويقدمها للناس ويعطيها حقها من الاهمية على المستوى الوطنى والعربى ، وانها لمسؤولية اخرى تقع على عاتق كل اديب وباحث ومؤرخ من الآن ..

احمد المكينسى

خصلتان حميدتان اتصف بهما الشيخ المختار

مولاي احمد المنجرة

الاستاذ المختار السوسى من الشخصيات البارزة فى المغرب لسعة اطلاعه وادبه الجم وتفكيره الصائب ووطنيته الصادقة واخلاصه ومبادرته فيها زيادة على صلاحه وحسن خلقه ومودته لجميع الناس وارشاده ونصحه لهم هذا ما عرفته عنه رحمه الله منذ نشأته لما كان طالبا بالقرويين فى أواسط الاربعينات الهجرية ، وقد كتب عنه كل هذا بعد وفاته اصدقاءه وعافوه الكثيرون للتعريف بشخصيته الفذة ، وبمناسبة صدور عدد خاص من مجلة الايمان التى يشرف عليها أخى وعزيزى الاستاذ الكبير سيدى ابوبكر القادرى عن هذا الرجل الذى تصلنى به صداقة مثينة اود ان ادلى بدلوى بهذه الكلمة مشيرا الى خصلتين حميدتين كان يتصف بهما هذا الرجل العبقرى بصفة خاصة وقل من يتصف بهما الآن رغم الخير والصلاح الذين ما زال يتصف بهما الكثير من الناس والحمد لله .

أولاهما كثرة زيارته لاصدقائه ، فقد كان زوارا لهم باحثا عنهم متفقدا لحالهم ومحاسبا لهم عما يضيعون من عمل كان يجب عليهم القيام به بل كان ذلك احيانا يتعدى اصدقاءه لبعض الناس الذين يظن بهم الخير ، فقد كان يهاجمهم بمنازلهم طالبا منهم ضيف الله فاذا حل عندهم فاتحهم توا فيما جاء من اجله من نصح وارشاد لعمل الخير فان وجد استجابة جعل منهم اصدقاء جدد والا تركهم وحالهم وكثيرا ما كان يتحرى فى ذلك الصباح الباكر فيها جم الصديق فاذا اوجده مستيقظا مطليا مشتغلا بمهم فرح له وهنأه والا خاصمه وعنفه مبينا له أنه حرم نفسه من بركة العمر التى يعتبرها رحمه الله بأنها الاستيقاظ باكرا .

وهو بذلك يسلك الاستاذ المربى الناصح ، وكثيرا ما كان ينجح فى

طريقته هاته مع أحبائه الكثيرين وطلبته الذين كان يعتبرهم بمثابة ابنائه .

اما ثانية الصفتين فتتجلى فى مفهوم قوله تعالى لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس .

واكثر ما تتجلى فيه هذه الصفات مع تلاميذه ، فقد كان يتصيدهم واغلبهم من البادية ويأتى بهم الى زاوية والده التى كون منها مدرسة ، فيقوم على تعليمهم وتهذيبهم آناء الليل واطراف النهار مستعملا فى ذلك غلية جهده فيقوم بتموين القسم الداخلى وكسوته وشراء الكتب اللازمة له حتى كون من ذلك مكتبة جمع بها كتبا قيمة نظم شراءها من اصدقائه المتصلين به.

وكان اذا اعوزه المال فى ذلك قصد بعض التجار والاغنياء من أصدقائه رغم عزة نفسه وعزوفه عما فى أيديهم « وكانوا مسخرين له » فيطالبهم بتسديد ما هو فى حاجة اليه فيتم ذلك بسهولة ، وكان فى بعض الاحيان يستعين بصديقه المنجرة نظرا لما له من الاتصال ببعض التجار فتكون الاستجابة من هؤلاء اما نقدا واما باحالة التلاميذ عليهم ليوظفوا لهم الرتبية اما بطعام يومى أو قدر من المال شهرى فى وقت لم تكن لطلاب العلم منحة أو اعانة من الدولة الا النزر اليسير .

وبذلك تيسر لاستاذنا ان يجمع حوله جماعة مهمة من التلاميذ كان يسهر على تعليمهم داخل المدرسة وخارجها بمعونة طلبته بدون مقابل فتكون منهم فى مدة وجيزة الأديب والكاتب والشاعر والمجد فى الدراسة ، وهذا ما نبه الاستعمار اذ ذاك الى خطورة هذا الرجل وخطورة مدرسته فتم اغلاقها فى جملة سبعة مدارس وتم نفى الاستاذ وكانت الكارثة سنة 1936 .

والذى قدر له ان يتم دراسته من أولئك التلاميذ هو الآن مفخرة لهذا الاستاذ .

هذا ما اردت ان اذكره باختصار عن هذا الرجل الصالح المربى الذى كانت تجمعنى به صداقة مثينة اشاد بها فى كتابه الالفيات والتى افخر واعتز بها طيلة حياتى .

مراكش 15/3/1402 الموافق 11/1/1982 **أحمد المنجرة**

محمد المختار السوسي
في كتاب "الأدب العربي في المغرب الأقصى"

للأستاذ المرحوم محمد بن العباس القباج

تضمن كتاب (الأدب العربى فى المغرب الاقصى) الذى أصدره الاستاذ المرحوم محمد بن العباس القباج سنة 1929 ترجمة الاستاذ المرحوم محمد المختار السوسى .

ولأهمية هذه الترجمة فى سياق تاريخ الادب المغربى فى أواخر العشرينيات ، يسر (الايمان) أن تنقلها عن الكتاب المذكور مع بعض انتاجه الشعرى الذى قاله فى ذلك الحين ونشر فى الكتاب مع ترجمته . سائلة الله للمترجم له الرحمة والمغفرة

ليس بغريب أن ينبغ من بين امة بعيدة عن لغة الضاد افراد يرفعون ذكر امتهم ويحفظون لها بين صحائف التاريخ اثرا مجيدا يبقى ما بقيت تلك الامة وذكر اسمها فى الوجود .

وهذه الامة السوسية الواقعة فى جنوب المغرب فى جوار الصحراء الكبرى القاحلة وبين الجبال الوعرة ، المعروفة ببعدها عن لغة الضاد تنجب لنا بضعة افرادهم نهاية ما تفتخر بهم الامة وتباهى بهم فى عالمى العبقرية والنبوغ .

ومحمد المختار الذى نترجم له الآن فرد من أولئك الافراد فقد نبغ نبوغا معجبا رغما عن ذلك الوسط الذى نشأ فيه وتلك البيئة التى يكون لها أكبر تأثير فى حياة الانسان .

شاب لا يزال فى ريعان شبابه متضلع من اللغة العربية تضلعا كبيرا يعجز عنه من هو اكبر منه سنا ، وقد أوتى براعة نادرة فى قرض الشعر وارتجاله وشعره مجلى للعواطف الحية والشعور الدقيق .

اما اخلاقه فهى اخلاق مهذبة شبيهة باخلاق الصوفية المتورعين ! ، يحادثك فى مواضيع من العلم شتى بكلام لين وصوت خافت واكثر ما يعلو وجهه حمرة الحياء والخجل ان كلمته ولم يكن له بك سابق معرفة ، يانف من الظهور ويكره ان يكون شاعرا او ينسب الى الشعراء لانه يزعم ان الامة المغربية التى لا تزال فى طورها الاول من الانتباه هى الى العلماء احوج منها الى الشعراء !!

واذا انت دققت البحث فيما يؤمل من مستقبله تجده يطمح الى الوصول لصف العلماء الذين يستحقون ان ينالوا شهادة العالمية بحق ، واكثر ما يلاحظ عليه ميله الى العزلة والانكماش وهذا ما كنا نحن ننتقده عليه ايضا لولا ما يتراءى لنا من ان الدروس التى هو مطوق بمتابعتها تضطره الى ذلك الانزواء راضيا أو مرغما .

ولد بالغ (1) اواخر سنة 1319 هـ وبعد ما تلقى القرآن الكريم فى قريته اخذ الدروس الابتدائية العربية عن الاستاذ عبد الله بن محمد كبير علماء تلك القرية ثم عن الشاعر الكبير الطاهر البكرى المتقدم ذكره فى الجزء الاول من هذا الكتاب ثم انتقل الى الساعدات فى احواز مراكش فأخذ فيها عن الاستاذ الكبير مولاى عبد القادر بن العربى مفخرة السباعيين ثم عن بعض علماء مراكش كقاضى الحمراء العلامة محمد بن الحسن ثم انتقل الى فاس فأخذ عن جلة من علمائها وفى مقدمتهم الاستاذ الشهير محمد بن العربى ثم ولى وجهه نحو الرباط فى اوائل السنة الماضية فلازم دروس المحدث الكبير شيخ الاسلام ابى شعيب الدكالى ودروس فخر الرباط العلامة الجليل مولاى المدنى الحسنى .

وها هو ذا يصرف سحابة يومه فى الانكباب على الدرس والادمان على المطالعة والاستفادة بعزيمة لا تفل وهمة لا تفتر .

---

(1) الغ كحمل بلدة تقع شرقى تزنيت مركز سوس الساحلية وتبعد عنها بنحو 5 كيلو ميتر .

المختار السوسي
في الذكرى الألفية للمتنبي

في دجنبر 1935 وبمناسبة مرور الف سنة على وفاة شاعر العروبة الكبير ابى الطيب المتنبى أقام رجال الكتلة الوطنية بفاس مهرجانا أدبيا خالدا ، ساهمت فيه شخصيات أدبية مرموقة ، وكان من جملة المساهمين الشاعر المرحوم المختار السوسى الذى جادت قريحته بهذه القصيدة العصماء .

فلتحيى ذكرى نبيء الشعر

هزت قبور بني حمدان في حلبا ... ذكرى تسابق فيها السن الأدبا
اليوم تسترجع الآداب دولتها ... يا سعد من يستلذ الشعر والأدبا
ماست على الراحة الاقلام من طرب ... ومن ينل مبتغاه فليمس طربا «كذا»
تختال بين سطور الطرس مشية من ... نال انتصارا على الاقران والغلبا
أما اليراع فمذ ألف يقوم على ... طرس الخدود بذكرى ابن الحسين كبا
القى به السيف منبوذا وقام به ... ذود اليراع الى العليا بكل ابا
والى له ذكريات ما خلا زمن ... لم يوح عنه بحوثا تغمر الكتبا
يعنى ذوو الندوات الحافلات به ... كأن غدا بحثهم في شعره قربا
درسا وشرحا وتعليقا ومنتخبا ... والماس لولا شفوف منه ما انتخبا
ما بين ممتدح مطر ومنتقد ... صار التحامل في أبحاثه قطبا
حتى غدا المتنبى في الورى مثلا ... أعلى اذا ذكر الافذاذ في الأدبا
اليوم للمتنبى يوم معجزة ... اجل لحاظك كيما تبصر العجبا
أحيا لنا الأدب الحى النضير وقد ... أمسى يبابا دريسا صفصفا خربا
كذا كذا فلير الاعجاز اذ رجعت ... سبا الى عهدها بعد افتراق سبا
آى الخلود في أنا في صحائفها ... في اليوم أن قد أمنا فقدنا الأدبا
فلتحى ذكرى نبي الشعر حافلة ... نفتض منها عذارى الشعر والعربا

ذكرى يرى المغرب الاقصى بطلعتها ... ثغرا تألق معسول اللمى شنبا
والشرق أجمع وضاء يفيض سنا ... كأنما ائتلقت أبهاؤه شهبا
قامت محافله فى كل عاصمة ... نثرا بديعا وشعرا رائعا عجبا
كأنما حلب الشهباء عاد لها ... فى اليوم ما احتجنته وحدها حقبا
قالوا تنبأ الحادا ومخرقة ... والظلم أكفر فى سودائه غصبا
الله يعلم ان الافك ما زعموا ... نستشهد العقل والتاريخ والأدبا
لكن تنبأ عجبا بالقريض ولو ... جازوا بآياته تألهوا عجبا
صموا عن الوحى وحى الشعر ثم عموا ... وابن الحسين يلقى وحيه صببا
وحى الضمير اذا نار الشغاف به ... فالقلب يخترق الاستار والحجبا
يشاهد الغيب راى العين عن كثب ... ويلمس العالم العلوى مقتربا
فينتحى الملأ الاعلى بأخيلة ... جذابة تستمد السبعة الشهبا
فينبع الشعر من ينبوعها عببا ... وتبهر الراح من كاساتها حببا
فيخلب القلب روعات يكاد بها ... أن يستطار وأعلى الشعر ما خلبا
ويعجب الناس من أنى مآخذه ؟ ... ولو دروا ذاك لازدادوا به عجبا
ذياك مصداق دعوى ابن الحسين ومن ... قال الحقيقة ، ياللناس هل كذبا ؟
فاجاه وهو صغير ما استبان به ... فى العبقرية ما عن غيره حجبا
ولم يجد عنه تعبيرا يقر به ... فقال ما قال لا كفرا ولا كذبا
ايه أبا الطيب المغبوط فى همم ... كالبحر يزيد فى أمواجه عببا (1)
هل طبت نفسا فكم من شهرة نشرت ... أما ترى الشرق عنها هب وانتدبا
قد كنت تطلبها فوق الظبا فأتت ... تحت اليراع خلودا فوق ما طلبا
ان يغلبوك على الدنيا وقد شحذت ... منك المآثر (والدنيا لمن غلبا) (2)
فأنت وحدك فيها اليوم منفرد ... استرجع القلم السيال ما اغتصبا
تستوهب العبد ضيعات تناط بها ... وايكم يستحق اليوم أن يهبا
ما مصر ما الشام مما انت مالكه ... يا مالكا فوق عرش الشرق منتصبا
الشرق اجمع فى يمناك فاخضر بما ... ترضى فلست تلاقى فيه اى ابا
هبت به ذكريات منك حافلة ... فى ذكر أحسن ما أوتيته أدبا
فلتحى ذكراك ولتحى العروبة فى ... تكريمها نبغاء الشعر والادبا

---

(1) عبب ككتب ج عباب كعقاب وهو معظم الماء فى البحر المتموج .

(2) المآثر ج مأثور : السيف ذو الاثر ، (والدنيا لمن غلبا) من بيت لشاعرنا .

المختار السوسي شاعراً

رضى الله عبد الوافى السوسى

ليس أعن الى نفسى من أن تتاح لى الفرصة الى المشاركة فى هذه التظاهرة التى دعت اليها مجلة « الايمان » الغراء ، ولو ببضع كلمات للتنويه والاشادة بعلم من اعلام المغرب الكبار إلا وهو أستاذنا العلامة المختار السوسى الغنى عن التعريف .

لقد كانت شخصيته شخصية بارزة ولها نواح متعددة شأن شخصية العباقرة ، لا يكفى ان تكتب كلمة أو كلمتان فى هذا المقال بل يجب دراستها دراسة وافية منظمة تتناول نواحيه المتعددة .

لم تكن عبثا تلك الشهرة العريضة التى يتمتع بها اليوم المختار السوسى فى العالم العربى عامة وفى المغرب خاصة ، والتى لم يصل الى مثلها الا الأقلون.

ويحتل المختار السوسى فى تاريخنا الحديث موقع الصدارة بين الكتاب المؤرخين والزعماء المصلحين والشعراء المرموقين وقادة الفكر ورجال الدين فقد كان قائدا من قواد النهضة وزعيما من زعماء الاصلاح ووطنيا مخلصا وعاملا مناضلا وعبقريا نابغا .

فالجانب الشعرى عند هذا العبقرى ينجلى من ان شعره يمتاز بمتانة اللغة وقوة السبك فهو يذكرنا من جهة بشعر الاقدمين كالشعر الجاهلى والعباسى ومن جهة اخرى نجد فى شعره أيضا نوعا من الرقة والسهولة

ومجاراة الحياة العصرية فهو بذلك يكون الى جانب شعر شوقى وحافظ ومطران وبذلك يكون شعره لا بالقديم المغرق فى القدم ولا بالجديد المفرط بالجدة . ولهذا فعندما تقرأ شعره تشعــر شعورا واضحــا بأن صــورة الشعر العربى لم تتغير لانه يحتفظ بالاصول المسبوقة مع التحرر منهـــا فهو يعبر عما فى نفسه تعبيرا يصور فيه معانيه العقلية والنفسية ويسير فى شعره ضمن حدود واهداف تنبع من المجتمع وتستمد قوتها وعمقهـــا وروعتها من اخلاص صاحبها فى خدمته فهو انسانى مثالى يحب الجميع . واما اسلوبه الشعرى فهو مشرق ومغر كروحه تقراه فتشعر بأنك فى حاجة الى المزيد منه .

وختاما يتضح مما لاشك فيه أن المختار السوسى بثقافته الواســعـــة ومواهبه الشعرية كان معدا لأن يكون ويحتل مكانة ومنزلة رفيعة غير انه ــ كما نعلم ــ يكره ان يكون شاعرا او أن ينسب اليهم لانه يزعم أن الامة المغربية هى فى حاجة أحوج الى العلماء منها الى الشعراء .

ومن شعر المختار السوسى ننشر له قصيدتين تنشران لاول مـــرة الاولى بعنوان « شكرا لله من اعماق الفؤاد » والثانية بعنوان « طيـــب الوحـــدة » .

« شكرا لله من اعماق الفؤاد »

بينما الشاعر يتناول عن يمين وعن شمال الكتب المختلفة التى يستمتع بها وهو فى منفاه ، ان جاشت قريحته بهذه القطعة وهو فى نشوة لم يذقها قبله ولن يذقها بعده نشوان . وكان ذلك يوم الاثنين 27 شعبان عام 1372 على الساعة العاشرة :

شكرا من اعماق الفؤاد المسلم … شكرا لما يوليه فضل المنعم
شكرا على نعماء ما ذاقت لها … شبها حياة المترف المتنعم
انى التفت رايتنى فى غمرة … فياضة امواجها بالانعم
كتب منوعة تداول بينها … افهام ذى شغف بها متفهم
هذى المنى جمعاء فى متناولى … سنح الزلال السلسبيل لمن ظمى
فى فترة فيها الفراغ مطنب … ان الفراغ لمنية المتعلم
او ما كفيت جميع ما اشهى اما … تحظى اللهاة بكل ما يهوى فمى
او ما وجدت من الرياضة فوق ما … تقوى به عضلى وينشقه دمى (1)
لم لا اكب فيالها من فرصة … منهوزة ثمراتها ان اقدم
من قبل ان يطوى الفراغ فانثنى … ايضا على سبابة المتندم

1) ـــ العضل والعضلات جمع عضلة ـــ بفتح العين والضاد واللام . وهى كل لحم مكتنز يتخلله عصب كظاهر الفخذين والعضد والفريصة ، وهذا النوع من اللحم هو الذى يتحمل الاعباء فى الجسم .

القصيدة الثانية :

« طيب الوحدة »

قالها وهو يستمتع بحلاوة الوحدة التى اسبغها الله عليه وهو فى منفاه .

فى وحدة المرء اشتات الملذات فهات مقترحا كل المنى هات
ان الامانى انواع مفننة والعلم كل امانى العالم الراتى (2)
فليستلذ فؤاد المستفيد فقد الفى فراغا حوى كل استفادات
فمن له لذة فى العمر واحدة ففى مطالعتى جميع لذاتى
اليوم نلت فراغا ليس يشغلنى فيه ضيوف ولا تقفز البنات (3)
ولا ثقيل اداريه ولا ارب امضى لادراكه جميع أوقاتى
فرغت للعمل المجدى فهل عزمت نفسى لتغنمها خير انتهازات
فيالها وحدة طابت فلا سعدت نفوس من افلتوها خير فرصات

عبد الوافى رضى الله السوسى

2) الراتى : المتمكن فى عمله .
3) تركت ورائى بنتى عائشة ومريم الصغيرتين ، فيا شوقى اليهما . وطالما قفزا علي فى وقت مطالعتى .

فهرس العدد

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء